مرايا الشيطان

رواية

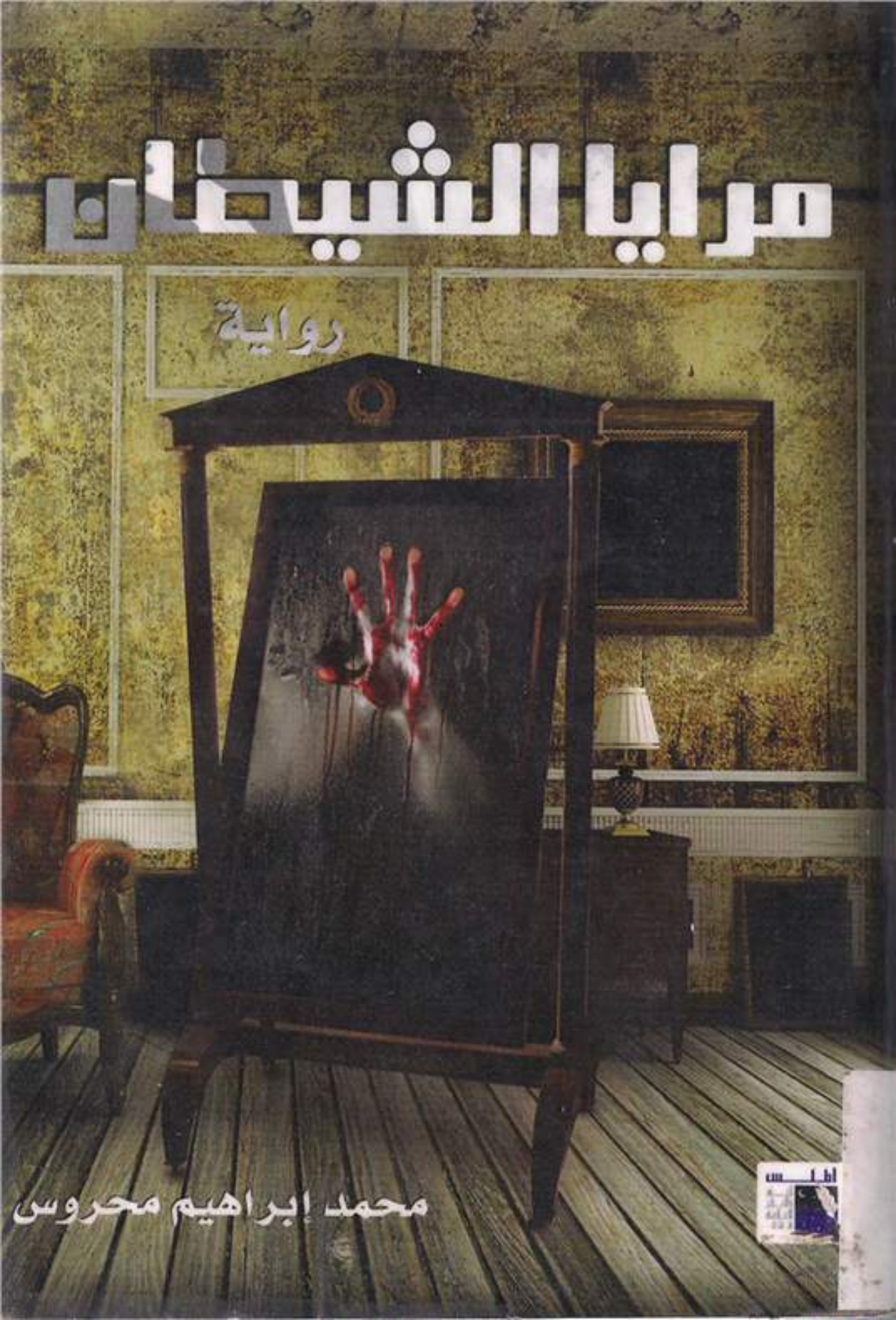

محمد إبراهيم محروس

الكتاب : مرايا الشيطان

المؤلف : محمد ابراهيم محروس

الغلاف : طارق فوزى

الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة

atlas@innovations-co.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٤٦٥٨٥٠ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

****

أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى

رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة

المدير

نوران المصرى

رقم الإيداع

٢٠١٥/١٩٩٩٨

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٣٧٨-٨

الطبعة الأولى

طبعة ٢٠١٦

مقدمة

كنت أحتاج إلى دش ساخن في تلك اللحظة، أشعر بمذاق المرارة تحت لساني وفوقها، يا له من طبيب أحمق قالها في وجهي دون تفكير أو مواراة، السرطان ينتشر في جسدك في ثلاثة أماكن ستخضع أولاً للعلاج بالإشعاع، ثم لجلسات العلاج بالكيماوي، الاستئصال مستحيل في حالتك.. سنحاول قدر الإمكان أن تخرج فائزًا في معركتك معه إلى حد ما..

هل كان يطمئنني هذا الأحمق أم يصير الأمر أكثر صعوبة..

هالة هل سأخبرها بمرضي، لقد اتصلت بي ثلاث مرات اليوم راغبة في الحكي والثرثرة، ولكن لم أجد لدي أية قدرة على الكلام، هل أقول لها إننا سنؤجل الفرح شهورًا؛ لأن حبيبها مصاب بالسرطان..

هل ستوافق أمها أن ترتبط حياتها بحياتي، في أية لحظة قد أفارق الحياة، فما الداعي أن تقبل أمها أن تكون ابنتها أرملة بعد شهور قليلة..

الماء ينساب على جسدي، وصورة ذلك الطبيب لا تبارح خيالي..

صور الأشعة، لبس الممرضات، أسرة المرضى.. كلاّ.. سأختار أن أموت واقفًا.. لن أستسلم لذاك المرض اللعين.

أنشف جسدي وأنا أنظر في المرآة.. كيف لهذا الجسد الرياضي الممشوق أن يكون ضحية لهذا المرض البشع... هل أرسل لفؤاد وعبير في نيويورك لأخبرهم أنني على وشك النهاية.

عبير أختي الوحيدة.. فؤاد زوجها كان صديقي لسنوات بعيدة، بعد وفاة أمي كانت عبير تمر بمحنة رهيبة، كانت تحتاج لمن يقف إلى جوارها.. وقتها كنت منغمسًا بالكامل في عمل الشركة، الشركة تتوسع والاستثمارات تُضخ بقوة وأي سهو قد تذهب كل جهودي سدى..

الرياح والعواصف كانت في أشدها بعد وفاة أمي، تلك السيدة التي كانت تدير كل شيء بمنتهى الحنكة والخبرة، جاء الوقت لآخذ مكانها.. عبير تكلم نفسها، تحتاج إلى طبيب نفسي، فؤاد كان خير صديق آنذاك، كان يعرف المحنة التي أمر بها فحمل على عاتقه متابعة حالة عبير، واستسلمت أنا للوضع بصورة أوبأخرى، برغم أن فؤاد لم يكن من نفس المستوى الاجتماعي لعائلتنا، ولكني دومًا كنت أعتمد عليه في أدق الأمور..

عندما جاءت عبير بعد تسعة أشهر من وفاة أمي لتخبرني بأنها قررت الزواج من فؤاد، لم أجد ما لدي لأقوله، هل أرفض؟! هل فؤاد طامع آخر في ثروة فوزي الخولي؟؟!!..

تلك الثروة التي دفعت أمي من صحتها وحياتها لتحافظ على كل قرش فيها وحتى لا يهجم عليها أعمامنا..

فؤاد كان أكثر شرفًا مما تصورت فقد جاءت له الهجرة منذ فترة وجهز أوراقه، وعندما جاءت موافقتي بزواج عبير منه، كان كل ما عليّ أن أوصلهما بسيارتي إلى باب المطار...

سبع سنوات تقريبًا منذ سفر عبير وفؤاد، أرسل لي فؤاد صورة لرضيع بعد سنة ونصف قال إنه أسماه خالد على اسمي.. وإنه ينتظر زيارتي لهم فقد صاروا ثلاثة الآن.. وأنني الخال الوحيد الأعزب الذي سينتظرون زيارته.. وقال إن عبير قلقة عليّ بسبب الوحدة التي أعيشها وعليّ أن أبحث عن بنت الحلال..

شعبي هذا الفؤاد في تفكيره.. بنت الحلال!!

وقتها لم أكن قد التقيت بهالة بعد، كانت هالة وقتها ربما تنتهي من آخر أيام جامعتها..

الإعلان عن سكرتيرة نشر في كبرى الجرائد للمكتب الجديد،

تقدم كثيرون، لا أعرف لماذا وقتها تسمرت عيناي على هالة، شيء فيها وفي طريقة كلامها جعلني مشدودًا إليها.. جذبتني إليها منذ أول لحظة، وبرغم أنني كنت تقريبًا أتابع الاختبار من بعيد، ولكن شيئًا قال لي إن تلك الفتاة ستكون في حياتي شيئًا ما.

لا أعرف لماذا فتحت الكمبيوتر الآن، ورحتُ أقلب في رسائل عبير على حسابي الإلكتروني، شيء ذكرته عبير في إحدى الرسائل كان يتردد داخل عقلي ولا أستطيع الوصول إلى فحواه، شيء أدري كنهه ولا أستطيع أن أضع يدي عليه، كلها رسائل عادية، مليئة بعبارات الشوق لي وأن الصغير خالد يسأل عليّ، وأنني أوحشتها بشدة ومتى سوف أقرر زيارتهم، رسائل فؤاد أيضًا رحتُ أتفحصها، رسائل سنوات مرت تحكي الكثير عن حياة الغربة وانغماسه بالكامل في العمل وأن عبير أصبحت في فترة ما عصبية جدًا، ويشك أن الحالة المرضية ستعاودها، كلامه عن أن عبير انضمت لجمعية روحية، وأنها أصبحت تتكلم عن السحر والخوارق بصورة مزعجة وملحة وتثير غضبه وحيرته، بلى تذكرتُ الآن ما أبحث عنه، قالته عبير في رسالة ما، أين اختفت تلك الرسالة اللعينة، ثلاث ساعات تقريبًا انغمست بالكامل في مراجعة كل رسائل عبير، أخيرًا وجدت الرسالة التي أبحث عنها، عبير تتكلم عن جمعية روحية ضمتها بهيلينا، فتاة من أصل نرويجي

تهوى السحر، وتمتلك شيئًا مميزًا، مرآة خاصة تشفي من الأمراض إذا آمنت بها، قالت عبير وقتها إنها تحتاج مبلغًا ضخمًا من المال لشراء تلك المرآة وإلاّ ستجن، طلبتْ تحويلاً ضخمًا من حسابها لدي، الأمر وقتها كان بالنسبة لي نوعًا من الجنون المطلق، ولكنها أموالها ولها الحق فيها.. قررت وقتها أن أرسل لها ما تريد، ربما كان الأمر خدعة من فؤاد ومن عبير وأنهما يحتاجان للمال فلجآ لتلك اللعبة العجيبة، ليكن، سأعطي لها ما تريد، حولت لها المبلغ، أتذكر رسائل فؤاد وأراجعها الآن، يقول إن حالة عبير تحسنت وأنها عادت تهتم به وبالصغير خالد وأن هيلينا أعطت مرآة هدية لعبير تظن أنها من هدأت من روعها، وأنها تقضي عدة ساعات يوميًا تتطلع لتلك المرآة العجيبة، عبير بعد فترة أرسلت رسالة أخرى قالت إن هيلينا تعرضت لحادث غريب ضخم حيث تفحم جسدها بالكامل إثر حادثة انفجرت فيها سيارتها.. وأنها قد رأت الحادثة في أحلامها قبلها، بل تظن أنها شاركت في الحادثة بشكل أويآخر وأن الجنون يطاردها بشدة لدرجة أنها عندما تنظر في المرآة التي وهبتها إياها هيلينا تكاد تقسم أنها تشاهد الحادثة تحدث مرارًا وتكرارًا.. وبدرجة شديدة البشاعة.. حيث إن المسعفين في أحلامها يفشلون في فصل لحم جسد هيلينا عن سيارتها لدرجة أنها والسيارة صارا تقريبًا جزءًا

واحداً.. وأنها تشاهد السيارة في الكابوس وقد تحولت لتابوت بداخله بقايا صديقتها..

رسائل عبير امتلأت بالقلق بعدها لعدة أسابيع في النهاية قالت إنها لا تستطيع أن تتخلص من المرآة وفي نفس الوقت لا تريد الاحتفاظ بها في البيت فلقد أصبحت تخافها، برغم أن حالتها الجسدية والنفسية في تحسن وأنها سترسل المرآة له، ليضعها ضمن مقتنياتها، وحذرته من إخراج المرآة..

ظننتُ وقتها أن عبير تمارس ألعابها الصبيانية ومشاكستها لي كما كانت تفعل وهي صغيرة، أرسلت المرآة بالفعل منذ فترة طويلة جداً..

❖❖❖

الفصل الأول

كنت أحتاج إلى دش ساخن في تلك اللحظة، أشعر بمذاق المرارة تحت لساني وفوقها، يا له من طبيب أحمق قالها في وجهي دون تفكير أوموراة، السرطان ينتشر في جسدك في ثلاثة أماكن ستخضع أولاً للعلاج بالإشعاع، ثم لجلسات العلاج بالكيماوي، الاستئصال مستحيل في حالتك.. سنحاول قدر الإمكان أن تخرج فائزًا في معركتك معه إلى حد ما..

هل كان يطمئنني هذا الأحمق أم يصير الأمر أكثر صعوبة..

هالة هل سأخبرها بمرضي، لقد اتصلت بي ثلاث مرات اليوم راغبة في الحكي والثرثرة، ولكن لم أجد لدي أية قدرة على الكلام، هل أقول لها إننا سنؤجل الفرح شهوراً؛ لأن حبيبها مصاب بالسرطان..

هل ستوافق أمها أن ترتبط حياتها بحياتي، في أية لحظة قد

أفارق الحياة، فما الداعي أن تقبل أمها أن تكون ابنتها أرملة بعد شهور قليلة..

الماء ينساب على جسدي، وصورة ذلك الطبيب لا تبارح خيالي..

صور الأشعة، ليس الممرضات، أسرة المرضى.. كلاّ.. سأختار أن أموت واقفًا.. لن أستسلم لذاك المرض اللعين.

أنشف جسدي وأنا أنظر في المرآة.. كيف لهذا الجسد الرياضي الممشوق أن يكون ضحية لهذا المرض البشع... هل أرسل لفؤاد وعبير في نيويورك لأخبرهم أنني على وشك النهاية.

عبير أختي الوحيدة.. فؤاد زوجها كان صديقي لسنوات بعيدة، بعد وفاة أمي كانت عبير تمر بمحنة رهيبة، كانت تحتاج لمن يقف إلى جوارها.. وقتها كنت منغمسًا بالكامل في عمل الشركة، الشركة تتوسع والاستثمارات تُضخ بقوة وأي سهو قد تذهب كل جهودي سدى..

الرياح والعواصف كانت في أشدها بعد وفاة أمي، تلك السيدة التي كانت تدير كل شيء بمنتهى الحنكة والخبرة، جاء الوقت لآخذ مكانها.. عبير تكلم نفسها، تحتاج إلى طبيب نفسي، فؤاد كان خير صديق آنذاك، كان يعرف المحنة التي أمر بها فحمل

على عاتقه متابعة حالة عبير، واستسلمت أنا للوضع بصورة أوبأخرى، برغم أن فؤاد لم يكن من نفس المستوى الاجتماعي لعائلتنا، ولكني دومًا كنت أعتمد عليه في أدق الأمور..

عندما جاءت عبير بعد تسعة أشهر من وفاة أمي لتخبرني بأنها قررت الزواج من فؤاد، لم أجد ما لدي لأقوله، هل أرفض؟!، هل فؤاد طامعًا آخر في ثروة فوزي الخولي؟؟!!..

تلك الثروة التي دفعت أمي من صحتها وحياتها لتحافظ على كل قرش فيها وحتى لا يهجم عليها أعمامنا..

فؤاد كان أكثر شرفًا مما تصورت فقد جاءت له الهجرة منذ فترة وجهز أوراقه، وعندما جاءت موافقتي بزواج عبير منه، كان كل ما عليّ أن أوصلهما بسيارتي إلى باب المطار...

سبع سنوات تقريبًا منذ سفر عبير وفؤاد، أرسل لي فؤاد صورة لرضيع بعد سنة ونصف قال إنه أسماه خالد على اسمي.. وإنه ينتظر زيارتي لهم فقد صاروا ثلاثة الآن.. وأنني الخال الوحيد الأعزب الذي سينتظرون زيارته.. وقال إن عبير قلقة عليّ بسبب الوحدة التي أعيشها وعليّ أن أبحث عن بنت الحلال..

شعبي هذا الفؤاد في تفكيره.. بنت الحلال!!

وقتها لم أكن قد التقيت بهالة بعد، كانت هالة وقتها ربما تنتهي من آخر أيام جامعتها..

الإعلان عن سكرتيرة نشر في كبرى الجرائد للمكتب الجديد، تقدم كثيرون، لا أعرف لماذا وقتها تسمرت عيناي على هالة، شيء فيها وفي طريقة كلامها جعلني مشدودًا إليها.. جذبتني إليها منذ أول لحظة، وبرغم أنني كنت تقريبًا أتابع الاختبار من بعيد، ولكن شيئًا قال لي إن تلك الفتاة ستكون في حياتي شيئًا ما.

لا أعرف لماذا فتحت الكمبيوتر الآن، ورحتُ أقلب في رسائل عبير على حسابي الإلكتروني، شيء ذكرته عبير في إحدى الرسائل كان يتردد داخل عقلي ولا أستطيع الوصول إلى فحواه، شيء أدري كنهه ولا أستطيع أن أضع يدي عليه، كلها رسائل عادية، مليئة بعبارات الشوق لي وأن الصغير خالد يسأل عليّ، وأنني أوحشتها بشدة ومتى سوف أقرر زيارتهم، رسائل فؤاد أيضًا رحتُ أتفحصها، رسائل سنوات مرت تحكي الكثير عن حياة الغربة وانغماسه بالكامل في العمل وأن عبير أصبحت في فترة ما عصبية جدًا، ويشك أن الحالة المرضية ستعاودها، كلامه عن أن عبير انضمت لجمعية روحية، وأنها أصبحت تتكلم عن السحر والخوارق بصورة مزعجة وملحة وتثير غضبه وحيرته، بلى تذكرتُ الآن ما أبحث عنه، قالته عبير في رسالة ما، أين اختفت تلك

مكتبة مصر العامة

الرسالة اللعينة، ثلاث ساعات تقريبًا انغمست بالكامل في مراجعة كل رسائل عبير، أخيرًا وجدت الرسالة التي أبحث عنها، عبير تتكلم عن جمعية روحية ضمتها بهيلينا، فتاة من أصل نرويجي تهوى السحر، وتمتلك شيئًا مميزًا، مرآة خاصة تشفي من الأمراض إذ آمنت به، قالت عبير وقتها إنها تحتاج مبلغًا ضخمًا من المال لشراء تلك المرآة والاّ ستجن، طلبتْ تحويلاً ضخمًا من حسابها لدي، الأمر وقتها كان بالنسبة لي نوعًا من الجنون المطلق، ولكنها أموالها ولها الحق فيها.. قررت وقتها أن أرسل لها ما تريد، ربما كان الأمر خدعة من فؤاد ومن عبير وأنهما يحتاجان للمال فلجآ لتلك اللعبة العجيبة، ليكن، سأعطي لها ما تريد، حولت لها المبلغ، أتذكر رسائل فؤاد وأراجعها الآن، يقول إن حالة عبير تحسنت وأنها عادت تهتم به وبالصغير خالد وأن هيلينا أعطت مرآة هدية لعبير تظن أنها من هدأت من روعها، وأنها تقضي عدة ساعات يوميًا تتطلع لتلك المرآة العجيبة، عبير بعد فترة أرسلت رسالة أخرى قالت إن هيلينا تعرضت لحادث غريب ضخم حيث تفحم جسدها بالكامل أثر حادثة انفجرت فيها سيارتها.. وأنها قد رأت الحادثة في أحلامها قبلها، بل تظن أنها شاركت في الحادثة بشكل أوبآخر وأن الجنون يطاردها بشدة لدرجة أنها عندما تنظر في المرآة التي وهبتها إياها هيلينا تكاد تقسم أنها تشاهد الحادثة تحدث مرارًا وتكرارًا.. وبدرجة شديدة

البشاعة.. حيث إن المسعفين في أحلامها يفشلون في فصل لحم جسد هيلينا عن سيارتها لدرجة أنها والسيارة صارا تقريبًا جزءًا واحدًا.. وأنها تشاهد السيارة في الكابوس وقد تحولت لتابوت بداخله بقايا صديقتها..

رسائل عبير امتلأت بالقلق بعدها لعدة أسابيع في النهاية قالت إنها لا تستطيع أن تتخلص من المرآة وفي نفس الوقت لا تريد الاحتفاظ بها في البيت فلقد أصبحت تخافها، برغم أن حالتها الجسدية والنفسية في تحسن وأنها سترسل المرآة له، ليضعها ضمن مقتنياتها، وحذرته من إخراج المرآة..

ظننتُ وقتها أن عبير تمارس ألعابها الصبيانية ومشاكستها لي كما كانت تفعل وهي صغيرة، أرسلت المرآة بالفعل منذ فترة طويلة جدًا..

سنوات مرت منذ وضعتُ المرآة في قبو الفيلا مع الأشياء المهملة.. لماذا الآن يتذكر كل هذا الآن... هل بسبب كلمة الشفاء التي قالت عبير إن المرآة بها سحر خاص يشفي من الأمراض.. أي وهم يصدقه في حالته هذه..

كنتُ قد جلست على الفراش وأضأت النور الجانبي لي، ورحت أتسلى بمراجعة كل رسائل عبير وفؤاد لي وكنت كمن

يكتشف عالمًا جديدًا ظل مخفيًا عنه لسنوات عدة، وكانني لم أكن موجودًا خلالها ولم أعشها.

ارتفع بغتة رنين هاتفي المحمول، كانت هالة على الطرف الآخر، ما زلتُ غير مستعد للحديث معها، سيغضبها عدم ردي بكل تأكيد، وربما أجدها فوق رأسي.. فأنا أعرف هالة جيدًا، عندما تصمم على شيء، لا أحد يستطيع أن يقف في مواجهتها؛ لذا كان عليّ أن أرد وأنا أمثل النعاس، جاء صوتي متثائبًا وأنا أقول:

- "الو.. كيف حالك؟"

- "بخير.."

- "اتصلت بك عدة مرات ولم ترد.."

- "كنت مشغولاً.."

- "هل سأراك في المكتب صباحًا؟"

- "بكل تأكيد.."

- "ما بك؟!"

- "لا شيء مجرد إجهاد.."

- "ما بك حقًا؟! ردودك مقتضبة.."

- "إرهاق فقط.. أراك غدًا.."

أغلقتُ الهاتف وارتميتُ بجسدي على الفراش، هالة ستكون مزعجة لي في الفترة القادمة، فلن تسكت حتى تعرف ما الذي يحدث لي، من الأحسن أن أبتعد لفترة.. من الأفضل أن أعطي نفسي إجازة..

شعرتُ بثقل في رأسي، حالة من عدم التوازن تسيطر عليّ، إلحاح غريب يضرب عقلي بقوة، وعليّ أن أطاوعه، وجدت نفسي أغادر الغرفة.. أهبط السلالم متجهًا للأسفل، مررت بحجرة أمي بجوار السلم الذي كانت تستخدمها في هوايتها الأثيرة وهي النحت، الغرفة مغلقة منذ موتها فلم يدخلها أحد كرغبتها الأخيرة التي حافظت عليها.

خطوات قليلة، أفتح الباب المؤدي لقبو الفيلا، السكون يسيطر على كل شيء، هدوء قاتل مريب اعتدته.

أضغط على زر إضاءة القبو، يصدمني الظلام السادر، هل أعود لأجيء بكشاف وأنا أهبط، أتردد للحظة، ثم أقرر النزول، شعور مقبض يضرب صدري مع كل خطوة أخطوها لأسفل، وكأنني ذاهب لأفتح على نفسي أبواب الجحيم.. طردت الظلام الذي بدأ

يكتنف عقلي هو الآخر جانبًا، أضأت نور هاتفي المحمول وأخذت أتحسس طريقي ببطء، أين أشياء عبير؟!، إنني أتذكر جيدًا أنني خزنتها منذ فترة طويلة في هذا الجزء القصيّ من القبو.. صناديق عديدة أمامي تحمل تاريخي العائلي وذكريات مضت، اصطدمتْ قدمي بعجلة أطفال؛ فأزحتها جانبًا وأنا أواصل التقدم والبحث في الأشياء التي غطاها التراب.. وكأنني أزيح التراب عن ذكريات حياتي، أخيرًا وبعد ساعة تقريبًا وجدتُ ذلك الصندوق الضخم الذي وضعت فيه كل حاجيات عبير، فتحته بهدوء وترقب حذر، لماذا جسدي يرتجف بهذه الصورة؟، هل أتوقع أن يهاجمني شياطين من داخل تلك الصناديق؟. ليس هناك سوى شيطان واحد يعبث بعقلي الآن. هو شيطان ذكرياتي بكل ألمها وفرحها، أخيرًا وجدت ذلك الصندوق الصغير المحكم الغلق في داخل الصندوق الكبير..

إنه ما أبحث عنه تحديدًا.. تطلعت إليه لبرهة قبل أن أمد يدي وأمسكه بحرص عجيب لا أعرف سببه. ثم أغلقت الصندوق الكبير على باقي الذكريات، وتراجعت للوراء.

الصندوق في يدي وأنا أصعد سلالم القبو لفوق، أشعر بألم ممض يضرب جنبات جسدي سوف أحتاج للمسكن القوي الذي كتبه لي الطبيب.. لاحظتُ وأنا أشتريه نظرات الشفقة من عينيّ الصيدلي..

أخيرًا كنت في غرفتي.. جلست على السرير وأنفاسي مضطربة، كنت أحس وكأنني خضت سباقًا طويلاً. أشعر بالألم يضرب صدري بالكامل، وأنفاسي تتردد داخل صدري واهنة، أضع الصندوق على الفراش، أمد يدي لأتناول شريط الدواء أضع حبتين من الدواء في فمي، ثم أتجرع وراءهما كوبًا من الماء كاملاً.. قبل أن أدلف للفراش وأغطي جسدي المواصل الارتعاش.. مددتُ يدي وفتحت الصندوق ببطء شديد، وجدتها بالداخل، مرآة متوسطة الحجم، ذات إطار خشبي عجيب، محفور على خشبها بعض الكلمات الغريبة غير المفهومة.. تطلعت لشكلي عبرها، كم يبدو الإرهاق والتعب على ملامحي.. بعد وهلة وضعتها بجواري على الكومودينو و....

لا أعرف هل تسلل النعاس إلى عينيّ أم أنني غفوت فجأة نتيجة للتعب الذي يضرب جسدي. ولكن عندما أفقت على صوت الأقدام في الخارج كان قلبي يتراقص بين ضلوعي، أسمع صوت خطوات قوية تصعد درج السلم، هل تسلل اللصوص إلى الفيلا؟!.. شعرت بيدي تمتد دون تفكير مني نحو درج الكومودينو لاستخرج سلاحي المرخص.. وعيناي متصلبتان على باب الغرفة المغلقة.. يجب أن أبدو ساكنًا الآن. أحافظ على أنفاسي وأنا أقوم بهدوء تام متجهًا لباب الغرفة، أفتحه وأنا أشهر السلاح للأمام.. ما

الذي قد يحدث هل سيهاجمونني ويقتلونني؟!، لن يفرق الموقف كثيرًا فليس أمامي الكثير حتى أزف إلى باب القبر..

أضغط زر إضاءة الردهة وأقف أتأمل المكان، لا أحد هناك. هل وصل بي الخوف إلى هذه الدرجة.. أكاد أقسم أنني سمعت خطوات على السلم الداخلي للفيلا!!.

أهبط السلالم وأنا أضغط على كل زر إضاءة أقابله في طريقي.. بعد فترة كانت الفيلا كلها مضاءة تقريبًا. لا أحد هناك.. تساءلت لماذا قررت من فترة طويلة أن أتخلص من جميع الخدم وأن أعيش وحيدًا. هل هو أحد من الخدم قرر أن يقتلني والآن.. ولكن الهدوء المريب هو الذي كان يقابلني وأنا أفتش كل جزء من الفيلا.. برغم تعب جسدي وإنهاكه ولكني كنت مصرًا على مواصلة التفتيش.. لا شيء.. في كل مكان يقابلني لا شيء.. أردت أن أنزل للقبو ربما شعروا بخطواتي وصوتي فاختفوا بداخله.. ولكنني عند باب القبو وجدتُ نفسي أغلقه من الخارج بشدة وأعود.

عندما صعدت لغرفتي ونظرت في الساعة، كانت الثانية صباحًا، مازال الليل طويلاً، وإذا بي أفتح الدولاب وأختار بذلة خاصة للسهر، لا أعرف لماذا قررت الخروج في حالتي تلك.. انتهيت من ارتداء ملابسي وانتعلت حذائي.. كانت المرآة موضوعة

على الكومودينو كما تركتها، لم أشعر سوى بأنني أحملها بين يدي وأتطلع لوجهي فيها. لماذا شعرت بأن وجهي أكثر نضارة. لابدّ أن الفترة التي نمتها برغم قلتها أعادت لي شيئًا من القوة ولو على سبيل الوهم.

وإذ بي أقف لأسحب بيدي صورة معلقة لي في الغرفة منذ سنوات لأضع المرآة مكانها دون دافع.

ألقيت نظرة أخيرة على ملابسي قبل أن أقرر النزول..

السيارة قابعة في المرأب، بلونها الأسود القاتم الذي جعلني وأنا أدلف إليها أظن أنها ستكون اللحد الذي سأنتهي إليه..

أولجت المفتاح وأدرت المحرك.. لا أعرف إلى أين أمضي في تلك الساعة؟.. تجذبني الشوارع بهدوئها الليلي.. وأعمدة الإنارة بضوئها الشاحب وذاك السكون الذي يرين على كل شيء حولي.. أنطلق بالسيارة غير عابئ على شيء.. ألمح تلك اللجنة المرورية الليلية؛ فأهدئ من سرعتي، يشير لي الضابط أن أواصل التحرك دون أن يطلب رخصتي، شابان يتسابقان على دراجتين بخاريتين، أحاول أن أمشي بحذائها قبل أن أطلق العنان لسيارتي، ربما سمعت سبابهما لي لاقترابي بدرجة مزعجة منهما في سباقهما..

أخيرًا ألمح تلك الأضواء الباهرة، وأرى تلك السيارات

المرصوصة أمام الكازينو.. أقترب فيقترب مني السائس أعطيه مفاتيح السيارة ليركنها، وانتظرت لدقيقة حتى أعاد المفاتيح لي.. وجدت نفسي أخطو للداخل، حيث الموسيقى الزاعقة، والسكارى، حيث ذلك العالم الغريب الذي برغم زيارتي له عدة مرات ولكني لا أحبه أو آلفه.. اقترب مني النادل وهو يفسح الطريق ويشير لي إلى مائدة شاغرة.. لا أعرف ما الذي طلبته تحديدًا منه وأنا أجلس. كانت الراقصة تواصل تقديم فقرتها.. بعد دقائق لمحت تلك الفتاة تقترب من مائدتي وتدعو نفسها للجلوس. لم أعترض، كنت بحاجة ماسة إلى المؤانسة..

شيء في عيني الفتاة جعلني أتطلع إليها، كانت في العشرين من العمر بالكثير، المساحيق تغرق وجهها فتبدو أقرب إلى بلياتشو السيرك منها إلى فتاة ليل. يبدو أنها جديدة في تلك المهنة.. تحسستْ شعري وعدت لأتأمل الزجاجة التي وضعها النادل أمامي.. أشرتُ لها أن تشرب، جاءت ضحكتها في أول الأمر صارخة وعالية، ولكن عندما نظرت لعيني بلعت تلك الضحكة الصارخة داخل فمها واكتفت بالابتسام.. شيء في نظراتي ربما أزعجها.. ربما رأت موتي من خلال عينيّ، ربما حدثتها عيناي أنني شخص مغادر الحياة عما قليل.. ربما وربما...

الوقت يمرّ ولا أحسب حسابًا له، مازالت الراقصة تتلوى

كشبان حاذق على المسرح، همتِ الفتاة بمغادرة مائدتي، وجدتُ يدي تمسك يدها وتدعوها للجلوس، قبل أن أريت على يدها وأنا أشير للنادل أن يأتي بزجاجة أخرى برغم أن التي أمامنا مازالت كما هي.. أتأمل ملامح الفتاة من جديد وأبتسم، أشعر وكأنني قبلتها من قبل.. ولا أتذكر أين.. أفتح الزجاجة أمامي وأصب لها ولي.. كأسًا بآخر..

أشعر بزغللة في عينيّ، الصور تتراقص وتهرب من أمامي.. الصوت العالي يضرب أذني بشدة، أتراجع بظهري للوراء ألمس مسند الكرسي..

وأشعر بنفسي وكأنني أغرق في لجة من الظلام الدامس.. وبلا قرار.

❖❖❖

بغتة أفقت، كان كل شيء حولي مختلفًا، الشمس تضرب عينيّ عبر زجاج سيارتي..

أهزّ رأسي بعنف.. ما هذا؟ كيف انتهى بي الأمر في سيارتي.. أتحسس جبهتي.. أشعر بتثميل في أطرافي.. أنظر للساعة إنها الثامنة صباحًا.. كيف مر كل هذا الوقت؟

آخر ما أتذكره الكأس والراقصة والفتاة التي كانت تجالسني..

هل من الممكن أن تمر كل تلك الساعات دون أن أعرف أين قضيتها؟؟!!..

شعور غريب وأنا أدير محرك السيارة وأنطلق من تلك المنطقة الهادئة الغريبة..

كان عليّ أن أسأل عدة أشخاص حتى أستطيع مغادرة تلك المنطقة، فإنني لا أتذكر معرفتي لها من قبل.. ما الذي أتى بي لهنا.. قطع شرودي رنين هاتفي المحمول..

كانت هالة على الطرف الآخر تتساءل متى سأحضر للشركة؟.. فهناك موعد هام في التاسعة وعليّ ألاّ أتأخر.. قلت لها إنني في الطريق..

أطلقت للسيارة العنان وأنا أحاول أن أتذكر أين قضيت الساعات الماضية بلا جدوى، وكان هناك شبورة على عقلي تمنعني من الوصول.. لا شيء يهمّ الآن.. حتى الاجتماع الذي أذهب إليه لم يعد مهمًا كما كان في السابق.. الحياة نفسها أصبحت شيئًا واهنًا، التفكير فيها الآن يصيبني بالتقزز، كل الصراعات ستنتهي ولم يتبق شيء لي على الأقل.

كنت قد اقتربت من مقر الشركة فهدأت من سرعة السيارة وأنا أهبط منها وأشير لمنير حارس الأمن أن يضع السيارة في المرأب وأن يجد من يغسلها.. فهزّ رأسه في ابتسامة وأنا أضع في يده مفاتيح السيارة، وأخذت طريقي إلى الدور التاسع حيث يقع مقر شركتي..

الشركة من الداخل هادئة للآن.. منال مديرة الحسابات تجلس على مكتبها وقد وضع صفوت عامل البوفيه أمامها فنجانًا من القهوة، بينما يجلس حسن مسئول التوريد في الغرفة المقابلة لها وقد فتح باب مكتبه.. ألقيت نظرة على منال فقامت واقفة وهي تحييني، بينما لم يلحظ حسن دخولي فقد كان مشغولاً بأوراق أمامه.. طلبت من صفوت كوب القهوة المعتاد وأنا أدخل لمكتبي.. ربما لاحظت نظرة التساؤل في عيني منال وهي تراني

أرتدي بذلة سهرة ليلية.. هالة لم تكن على مكتبها.. لم أرد أن أسأل هل جاءت أم لا.. دخلت إلى المكتب وجلست وأنا أرفع قدمي على المكتب في تراخ وكسل..

مرّت دقائق بطيئة لا أفعل فيها شيئًا.. ثم قررت أن أذهب إلى الحمام الملحق بغرفة مكتبي.. خلعت جاكت البذلة ووضعته على ظهر المقعد الذي أجلس عليه.

عندما خرجت من الحمام وأنا أنشف وجهي كانت هالة تقف أمامي وعلى شفتيها ابتسامتها الرائقة..

قالت وهي تتطلع لوجهي:

- "مختف منذ صباح أمس.. خيرًا"

وضعت الفوطة على المشجب وأنا أتجه للمكتب لأجلس قائلاً:

- "مجرد إرهاق كما قلت لك من قبل"

وضعتْ رزمة من الأوراق أمامي وهي تقول بحماس بالغ:

- "عبد الحميد جابر.. ملف العملية كلها، صفقة واحدة معه ستنقلنا نقلة أخرى في عالم الأعمال.. يجب أن نكسبه إلى جانبنا.. الأوراق بها كل تفاصيل الصفقة.."

مددت يدي إلى درج المكتب أخرجتُ علبة سجائري وضعتُ السيجارة في فمي وأشعلتها.. ورحت أنفث دخانها قبل أن أبدأ في تقليب الأوراق.. لم تعلق هالة على إشعالي للسيجارة برغم أنها عدة مرات كانت دومًا تدفعني لمحاولة التخلي عن التدخين، ولكن ربما نظرات الإجهاد في عينيّ وملامح وجهي المرهقة جعلتها تصمت الآن.. كانت الصفقة جيدة بالفعل وربما عادت على الشركة بملايين. ولكن عبد الحميد جابر نفسه كان شخصًا غير مريح بالنسبة لي برغم صداقته القديمة للعائلة، هناك الكثير من الكلام الذي يدور عن غسيل الأموال وما شابه.. آه.. أطلقت تنهيدة حارة وأنا أنفث دخان سيجارتي، جعلت هالة تنظر تجاهي متسائلة.. رحتُ أنقر المكتب بأصابعي نقرات متتابعة وهي تراقبني بهدوء.. قطعت مراقبتها لي دقات على باب المكتب.. أشرت لها أن تفتح الباب كان الواقف بالخارج هو منير حارس الأمن.. فأشرت له بالدخول.. وضع مفاتيح السيارة أمامي وبجوارها خاتم نسائي ضخم وهو يقول:

- "وجدناه ونحن نغسل السيارة.."

تطلعتُ للخاتم الذي بدا غريبًا أمام عيني.. أمسكته بين أصابعي أقلبه، وهالة تتابعني بترقب وتساؤل.. أشرت لمنير أن

ينصرف شاكرًا، وعقلي يدور في دوامة رهيبة.. لقد تذكرت أين رأيت هذا الخاتم من قبل فقد كان يحتل أحد أصابع تلك الفتاة التي كانت تجالسني في البار.. ما الذي أتى به إلى سيارتي..

وضعته على المكتب أمامي، فمدت هالة يدها نحوه ورفعته قبل أن تقول:

- "ما هذا؟ من ترتدي خاتم كهذا.. ذوقها منحدر تمامًا."

سحبت الخاتم من يدها وضعته في جيبي وأنا أقول متخطيًا الأمر:

- "لابدّ أنه لصديق لي جلبه لزوجته، بالتأكيد سيتصل ليسأل عنه.. المهم.. جهزي كل مواعيد اليوم لي، واطلبي منهم تجهيز غرفة الاجتماعات وحضور محامي الشركة للاجتماع مع عبد الحميد جابر.. أريد أن أنتهي من هذا الأمر اليوم.."

تطلعت لعيني بتساؤل يطل من عينيها السوداوين الواسعتين، كيف وقد كنت من قبل غير متحمس للصفقة بهذه الصورة، قرأتُ ما دار بعقلها، ولكني أشحت بوجهي جانبًا وأنا أمد يدي لأسحب أوراقًا من درج مكتبي.. فانصرفتْ هالة من أمامي، ولكني كنت متأكدًا أن بداخلها يشتعل، ولن تهدأ حتى تصل إلى أصل الموضوع..

الحقيقة أنني نفسي من أريد أن أفهم ما الذي جاء بهذا الخاتم في سيارتي، فإنني لم أدع الفتاة للسيارة..

ينقصني جنون آخر.. ساعات اختفت من يومي لا أعرف أين قضيتها؟!، خاتم لفتاة ليل في سيارتي.. صفقة مع شخص ملوث أحاول إتمامها.. الألم الذي عاد يضرب صدي بشدة وأنا أحاول التماسك.. العلاج بالأشعة وجلسات الكيماوي..

أية لعنة تضرب حياتي هذه الأيام.. أوما تبقى لي من أيام على وجه هذه الأرض...

زفرت في حيرة بالغة وأنا أسند رأسي على مسند المقعد..

وعقلي يشتعل بالأفكار المجنونة..

ودون جدوى.

❖❖❖

الفصل الثاني

في تلك اللحظة كنت أدخل إلى الفيلا، جسدي منهك وأحتاج للنوم بشدة، أنهيت الصفقة مع عبد الحميد جابر، برغم عبثية الموقف وأنني قد أغادر الحياة قريبًا، لكنني أصررت أن تكون كل شروط الصفقة مناسبة وممتازة لي.

أركن السيارة، وأتأمل الهدوء السادر على الفيلا وأنا أصعد الدرجات المؤدية للباب الداخلي.

أولج المفتاح في الباب وأسمع تكة المزلاج قبل أن أدفع الباب لأدخل.. الفيلا من الداخل تعوم في ظلام تام. أمد يدي إلى مفاتيح النور أضغطها بالتتابع؛ لتسبح الفيلا في النور الساطع..

أتأمل اللوحات التي تزين البهو.. وبعض المنحوتات الخاصة بأمي.. كم كانت موهوبة ورائعة!

كنت أحتاج لكوب من الشاي الدافئ.. فذهبت للمطبخ

وأنا أتساءل لماذا صممت بعد موت أمي أن أعيش وحيداً بهذه الصورة.. ربما أعشق الوحدة دون أن أدري..

هالة كانت شديدة العصبية اليوم تشعر أنني أخفي شيئًا عنها، فضولها القاتل الملح يجعلها مترددة وعصبية وهي تراقبني طوال الوقت وكأنها تنتظر تلك اللحظة التي أنهار فيها لأعترف لها بجرائمي غير الموجودة إلا في خيالها أحيانًا..

الاعتراف بماذا؟ هي بالتأكيد تدرك بعد كل هذا الوقت أنني لست من هذا النوع المهوس بالنساء لذا سيشفع لي أي شيء لديها إلاّ خيانتي لها، وهي لا تتوقعها بالتأكيد.

ما الذي ستقوله عندما تعرف أنني في طريقي للموت..

صببت الشاي وأخذت الكوب بيدي وأنا أصعد إلى غرفتي..

أخلع جاكت البذلة وأرميه على كرسي مقابل للفراش.. أتحسس بنطالي لأخرج بعض أشيائي المبعثرة بداخل الجيوب.. تصطدم أصابعي بذاك الخاتم العجيب. أخرجه وأتطلع إليه والسؤال الذي لا إجابة له يدور في عقلي.. ما الذي أتى بهذا الخاتم إلى سيارتي؟!..

المرآة في مكانها كما تركتها أمس، أتأمل ملامحي بها، لماذا أشعر وكأن هذه المرآة وصورتي المعكوسة فيها تتوغل داخل نفسي،

ما هذا السحر الذي أشعر به إن كان له وجود.. أمد يدي لأضع حبة من المسكن في فمي وأجرع وراءها كوبًا كاملاً من الماء..

أرتمي على الفراش والمرآة بين يدي أنظر فيها، شيء فيها يثير حيرتي أكثر وأكثر..

لا أعرف متى نمت.. ولكن لمرة أخرى أصحو في الثانية صباحًا تقريبًا على صوت خطوات تصعد سلالم الفيلا اتجاه غرفتي.. أية لعنة مجنونة أصابتني.. وأي جنون..

اعتدلت على الفراش تحسست يدي أسفل المخدة حيث تركت المسدس أمس.. المسدس ليس في مكانه، رحت أفتش بعيني في كل مكان لا أثر للمسدس.. الخطوات أسمعها تقترب أكثر.. هناك شخص يريد أن يصيبني بالجنون. مؤكد تلك هلاوس نتيجة للعقار المهدئ الذي أتناوله، ربما عرض جانبي.. ولكن هل الأعراض الجانبية تجعلني أسمع تلك الخطوات بهذه الصورة الواضحة..

أقرر أن أكتشف ما يجري.. كنت قد تركت نور الفيلا الداخلي مضاء بالكامل، أي شيء لن يستطيع أن يخفي نفسه عني..

أستجمع شجاعتي وأنا أقفز من الفراش وأتجه لباب غرفتي لأفتحه على مصراعيه وأنا أصرخ من هناك..

لا أتلقى ردًا.. تضرب عينيّ الأضواء، فأغمضهما لثوان وأفتحهما أتطلع للفيلا الشاغرة الخالية من أي بشر سواي.. وأهزّ رأسي طاردًا كل مخاوفي جانبًا.. لا شيء غريب، ولا أحد هنا..

لمتى سوف تستمر تلك الأوهام الغريبة؟!!

لثوان خيل إليّ أنني لمحت ظلاً يختفي جريًا من أمام عيني فرحت أفتش في المكان، ولكن لا أحد بحق.

طردت كل هذه الهلاوس جانبًا وأنا أعود لغرفتي لأغير ملابسي.. شيء يدفعني لأقوم برحلة الأمس..

أشعر أنني أتحرك دون إرادتي، ولكني لا أستطيع أن أرفض هذا الإلحاح الغامض الذي يسيطر على كل عقلي.. أخيرًا وجدت المسدس ملقى بجوار الفراش.. وضعته في درج الكومودينو..

بعد عدة دقائق انتهيت من ارتداء ملابسي وكنت في طريقي للخروج، أحتاج لأحد معي حتى لا يحدث لي ما حدث بالأمس، لأكلم شريف، كنت على باب المرأب عندما اتصلت بشريف الذي جاء صوته متثائبًا وهو يرد:

- "خير.. ما الذي حدث؟.. اتصال غير متوقع منك."

- "أحتاجك معي في مشوار قصير"

- "الآن.. في تلك الساعة!"

- "لم أجد غيرك يتحملني الآن."

- "أعرف جنونك.. عندما تلح عليك فكرة لا تستطيع أن تستسلم دون إتمامها."

- "جهز نفسك سأكون لديك بعد ربع ساعة.."

- "ربع ساعة!! أهو أمر خطير.."

- "قلت لك أحتاجك معي هل ستأتي أم لا؟"

- "وهل في إمكاني الرفض.. حاضر يا سيّدي.. أنتظرك."

- "سأتصل بك عندما أكون أسفل شقتك."

- "ليكن.. سلام."

أنهيت اتصالي بشريف، ثم أدرت محرك السيارة وأنا أفكر هل ما يحدث لي الآن طبيعيًا؟!

راحت السيارة تقطع شوارع القاهرة في ذلك الهدوء الليلي، قبل أن أقف بجوار منطقة سكنية جديدة.. اتصلت بشريف فقال دقائق وسأكون بالأسفل.. بالتأكيد زوجة شريف تدعو عليّ الآن.. لا يهم!

لا أريد مفاجآت جديدة وأنا وحدي.. كنت قد سرحت وراء أفكاري المجنونة فلم أنتبه إلاّ وشريف يجلس على المقعد المجاور وهو يقول:

- "إلى أين؟!"

لم أرد عليه وأنا أدوس دواسة البنزين وأطلق للسيارة العنان.. راح يراقب وجهي وملامحي بهدوء، ثم يعود لينظر للشوارع التي كانت تقطعها السيارة بسرعة. اكتفى شريف بصمتي ولم يعد سؤاله... فجأته بسؤالي بغتة:

- "هل تؤمن بالسحر؟"

تطلع لوجهي غير فاهم وهو يرد:

- "لحد ما؟ ولكن أي سحر تقصدة؟"

بلعت ريقي وأنا أقول:

- "السحر الذي يتكلم عن تعاويذ مجنونة وعن شياطين تسيطر على حياتك وعن جن يتلبسك فتصبح شخصًا آخر.."

ارتفعت ضحكته عاليًا وهو يرد من وسطها:

- "إننا في القرن الواحد والعشرين.. وأنت تسألني أسئلة المشعوذين.. المرة القادمة ستطلب أن نجيء لك بقطعة من ملابس

شخص لتستخدمها في السحر، ما الذي تهزي فيه؟ أنت من نوع زوجتي هي مثلك تؤمن بالسحر من هذا النوع ولها هذه الصديقة الروحانية العجيبة."

كان شريف أقرب صديق لي سنوات الجامعة وما بعدها، فكان يسمح لنفسه دائمًا أن يتهكم علي بطبيعته الساخرة فصمتُ حتى لا أزيد الطين بلة..

بعد دقائق كنا نقف أمام هذا الكازينو الذي زرته بالأمس، وأنا أطلب منه أن ينزل.. فأطلق شريف صفيرًا من بين شفتيه وهو يقول:

- "هكذا يكون السحر.. لو كان هذا النوع من السحر فأنا أثق بوجوده.."

تطلعت إليه بنظرة متحجرة، فبلع سخريته وهو يردف قائلاً:

- "إنني لا أفهم حقًا أي شيء.. هل يرضيك هذا."

رددت مقتضبًا:

-" يرضيني .. هيا انزل .. "

غادرنا السيارة بعد أن ركنتها بنفسي على بعد أمتار من الكازينو..

تطلع شريف للكازينو بحيرة فريما ظن لبعض الوقت أنني أمزح معه، ولكني سحبته من يده ونحن ندلف للداخل.. كؤوس الخمر، الراقصة في مكانها المعتاد، الصوت الزاعق لمغنٍ شعبي يرج المكان.. شريف يتطلع للمكان حوله بترقب وكأنني دخلت به إلى وكر للثعابين فهو برغم سخريته الدائمة متحفظ في دخول أماكن كتلك... جلسنا على مائدة فجاء نادل الأمس محييًا، من الواضح أنه يتذكرني..

طلبت زجاجة من الخمر وأنا أتابع بعيني فتيات الصالة.. لم أر فتاة أمس بينهن، وضع النادل زجاجة الخمر وهو يهمس لي:

- "لم تأتِ اليوم.. هناك غيرها كثيرات لو أحببت.."

تطلع شريف للنادل ولي حائرًا، فهززت رأسي للنادل أن لا، فاستطرد بصوته اللزج:

- "لم تكن من فتيات الصالة، بل فتاة زائرة.. تأتي مرات قليلة في الشهر، معظمنا لا يعرف أصلها وفصلها، معظمهن كذلك."

وضعت نقودًا في يد النادل اللزج الذي هزّ رأسه راضيًا وهو ينسحب للخلف وهو يميل بجسده بصورة مضحكة، قال شريف وهو يحاول أن يكون صوته واصلاً لي وسط هذا الضجيج:

- "لم أعرف عنك أنك معتاد تلك الأماكن.. وتسأل عن فتاة بعينها.. ألك غراميات هنا؟! ألا تخشى غضب هالة؟ لو عرفت" لدمرت علاقتكما للأبد.."

قلت ببساطة:

- "ومن سيقول لها؟ أنت؟!"

- "اللعنة! إنني لا أفهمك اليوم بأية حال من الأحوال.."

لم يمد شريف يده إلى زجاجة الخمر فهو يعرف جيدًا إذا رجع إلى بيته سكران ستكون ليلته ليلاء.. فاكتفى بمتابعة الراقصة في لا مبالاة حتى أشرت إليه أننا سننصرف..

ركب شريف بجواري السيارة وهو يزوم كقط محبوس غاضبًا.. لم أنبس بحرف لمدة والسيارة تقطع الطريق في اتجاه بيته، أوقفت السيارة بغتة في منطقة قريبة من بيت شريف فعاد ينظر لي في تساؤل كل ما أفعله اليوم يثير حيرته.. قلت بهدوء وأنا أنظر إليه بعيني المجهدتين:

- "إنني أموت.."

تطلع لي بعينين متسائلتين وهو يقول:

- "ماذا؟! ما الذي تقصده؟!"

قلت وأنا أحاول أن أحافظ على صوتي متزنًا:

- "سرطان.. افتح درج السيارة أمامك، ستجد كل التقارير الطبية لحالتي.."-

فتح درج السيارة وهو يمد يده ليستخرج ذاك الدوسيه الذي يحوي كل تقاريري الطبية، تطلع فيها غير فاهم قبل أن يبلع ريقه في صعوبة وهو يقول:

- "أهذا حقيقي؟!"

أومأت برأسي وأنا أزفر زفرة ساخنة وهو يستطرد قائلاً بخوف:

- "بالتأكيد هناك علاج.. أليس كذلك؟"

- "لا شيء مجد.. ربما شهور أوسنة بالكثير وينتشر المرض في كل جسدي.. عليّ برغم هذا أن أخضع للعلاج بالأشعة ثم الكيماوي..."

قال في لهفة صادقة وهو يحاول استيعاب الصدمة:

- "لنجرب.. لنجرب كل شيء.. لا داعي لأن تستسلم لمعركة لم تخضها هذا ليس من عاداتك.. إنني أعرفك.. أنت شخص صلب لا يقف في طريق أحلامه أي شيء."

- "ليس هذه المرة.. الموضوع منته."

- "كلاّ لن نستسلم.. هل أخبرت هالة بالأمر؟"

- "كلاّ.. وغير مسموح لك بإخبارها.."

- "إنك تحطم حياتك.."

- "وأين هي هذه الحياة التي تراني أحطمها؟! اهدأ واسمعني جيدًا.. إنني أعرف قصة زوجتك مع المشعوذين عندما كانت تحاول الإنجاب، وأعرف كيف كنت أنت غاضبًا منها لهذا الشأن لفترة طويلة، حتى مجيء ابنك يوسف..."

- "وما دخل هذا في موضوعك؟!"

- "أريد أن تدلني زوجتك على هذه الساحرة التي كانت تزورها."

- "خالد!"

- "أرجوك نفذ ما أطلبه منك.. اعتبره طلب الوداع من صديق مجنون."

راحت عيناه تجوبان ملامحي وهو يضغط على شفتيه بأسنانه:

- "ستكون المرة الأخيرة التي أجاريك في شيء كهذا.. إنني أكره هذا العالم بغموضه بمخاوفه بمشعوذينه.."

هززت رأسي وأنا أدير محرك السيارة وأنطلق بها، عندما هبط أمام باب عمارته وجدتني أناديه..

- "شريف.. لا تنس.. أرجوك.."

فهزّ رأسه بهدوء قبل أن يستدير بجسده ويكمل طريقه في اتجاه باب العمارة..

تنفست في عمق وشعرت بذاك الألم يعود مرة أخرى ليضرب صدري بعنف.. فدوست على دواسة البنزين وأنا أجزّ على أسناني بقوة محاولاً تخطي ذلك الألم اللعين..

كان الليل ينسحب تدريجيًا في تلك اللحظة مفسحًا طريقًا للنهار ليضيء الدنيا، وقفت بجوار كشك جرائد وأخذت كل جرائد الصباح، ثم انطلقت في طريقي إلى الفيلا، وأنا أتحسس صدري كل حين..

أنفاسي لاهثة وأنا أصعد سلالم الفيلا.. دقائق وكنت أفتح باب غرفتي.. المرآة أمامي في مكانها كما وضعتها، وقفت أمامها وأنا أصرخ فيها أين سحرك وسط كل هذا الألم الرهيب..

لماذا أشعر بتحسن وأنا أقف أمام المرآة بعد عدة دقائق، فقد بدا الألم ينسحب بالفعل وشعرت بأنفاسي تنتظم من جديد..

شعرت بالذهول للحظات وكأن تلك المرآة بالفعل تحقق رغباتي في الشفاء.

مرت وهلة وأنا أراقب نفسي في المرآة، أشعر بألم حاد في عيني، أغمضهما، الأرض تحت قدمي تصبح رخوة، قدماي لا تحملاني، أقاوم الشعور بالسقوط، أفتح عيني على اتساعها، ظلام كثيف يحيط بي، لا أرى أمامي أي شيء، أمد يدي لأستند على مسند الفراش، يداي تصطدمان بفراغ، ما الذي يحدث، أشعر وكأن هناك قوة هائلة تسحبني للداخل، يدي تلمس المرآة فأجدها تغوص بداخلها، أحاول التدقيق لا أفلح، شيء قوي يسحبني للداخل، لداخل أي شيء؟! لو صدقت ما يترجمه عقلي لي لتصورت أن المرآة التي كانت أمامي أصبحت بابًا مفتوحًا على اتساعه وهناك من يجذبني بقوة.. ما هذه الهلاوس..

أحاول التراجع ولكن قوة الشد كانت أقوى مني بمراحل، أجد نفسي مدفوعًا في الفراغ، أدور حول نفسي وأنا أصرخ متسائلاً عن الذي يحدث، لا يجيبني سوى الصمت الثقيل. أفقْ.. هذه هلاوس.. بالتأكيد.. أفقْ.. أكلم نفسي أحاول أن أحافظ

على رباطة جأشي، ولكن ما كان يحدث لي كان مستحيلاً بكل المفاهيم.. لا شيء كهذا في الحقيقة..

ضباب كثيف أخضر اللون يتكون حول وجهي، تبدأ الصورة باهتة في الظهور.. ينسحب ذلك الضباب بعد فترة، فتتسع عيناي في جحوظ.. ما هذا؟

أين أنا؟ ما الذي حدث؟

إنها الفيلا حقًا، مسكني!

ولكن لماذا تبدو متغيرة بتلك الصورة، أين اختفى أثاث تلك الغرفة..

لماذا تغير لون الدهانات.. وكأن الفيلا ما زالت في مرحلة التشطيب..

أحاول أن أجمع تفكيري فلا أستطيع.. ذهني مشتت فيما يحدث.. ما هذا الصوت؟!

إنه قريب من صوت أبي.. بل هو صوت المرحوم أبي.. أهزّ رأسي بقوة وأنا أتجه للباب..

أراه أمامي فارتد للخلف فزعًا.. إنه أبي بكل تأكيد، ولكنه أصغر سنًا بمراحل، كان يضحك بقوة وهو يمسك في يده كأسًا من

الخمر نازلاً لبهو الفيلا.. لم أرَ أبي من قبل يشرب أية خمور!.

جاءت الضحكة عالية من ورائه، من هذه المرأة.. لأول مرة أراها.. وما علاقتها بأبي.. أية أسئلة مجنونة الآن تضرب عقلي!

هل بالفعل صدقت أنني أرى أبي الذي توفى منذ سنوات أمامي الآن ويتحرك وفي يده كأس من الخمر.. إنه الوهم.

ولكن هل للوهم تلك الرائحة التي أشمها تنبعث في المكان، هل للوهم هذا التأثير القوي لأسمع ضحكات تلك المرأة عالية.. هل هناك وهم بكل هذا الوضوح. من مكاني كان من الصعب عليه أن يراني.. ولكن لماذا أخفي نفسي عنه لو كان هذا أبي.. أفتح الباب بهدوء وأخرج.. كانت المرأة تناديه باسمه في دلال فتأكد يقيني بوجود أبي في ذلك الوهم.. لحظات ورأيته يقترب من تلك المرأة ويقبلها في شهوة.. وهي تتملص منه في دلال ويطاردها في بهو الفيلا كطفل صغير عابث...

قررت أن أمنع ما يحدث الآن أمامي بأية صورة كانت.. هبطت السلالم وأنا مصمم أن أجاري ذلك الوهم العابث للنهاية. أي شيطان خبيث يلعب بعقلي..

الموتى لا يعودون للحياة!!

هذه المرآة الشيطانية تلعب بعقلي بالتأكيد.. أهذا هو سحرها؟! تذكرت تحذير عبير لي بألا أقترب من المرآة في رسائلها.. أم يكون تأثير الدواء الذي كتبه الطبيب لي؟!

كنت بعد لحظات أقف في وجه أبي الذي عبر من جواري وكأنه لا يراني، بل هو بالفعل لا يراني..

بل أكاد أقسم أنه وهو يجري وراء تلك المرأة اللعوب عبر من خلالي ليمسك يدها ويقربها منه في قوة ويقبلها بعنف قبل أن يحملها ويبدأ في الصعود لأعلى..

لم تذكر لي أمي قطّ أن أبي تزوج قبلها..

يصعدان السلالم ولا يشعران بوجودي.. أشعر بجسدي ينهار وأنا أحاول الوقوف.. هل صرتُ شبحًا؟!

مرّ وقت وأنا أحاول استيعاب ما يجري كنت قد سمعت صوت باب غرفة النوم العلوية وهو يغلق، والمرأة تطلق ضحكاتها القوية.. لا أعرف كم مرّ من وقت وأنا في وقفتي هذه أحاول التطلع لأفهم ما يجري وعلى قدر طاقتي أحاول تقدير الموقف.. فلا أجد أية فكرة تضرب عقلي.. سمعتُ صوت باب الفيلا يفتح، ورأيتها وهي تدخل..

إنها هي.. أمي! اللعنة!

هل أبي يخونها الآن.. ما حجم المفاجأة التي ستحدث الآن وما تأثيرها في حياتها، كيف كانت أمي طوال الوقت أمامي بهذه القوة.. كيف تحملت مفاجأة كتلك.. أرى بطن أمي منتفخة بجنين تحمله بداخلها. اللعنة! هل كنت أنا هذا الجنين وقتها. ومن يكون غيري؟!

أمي تصعد السلالم بتؤدة.. الحمل يرهقها بالتأكيد. أمد يدي أحاول أن أسندها ولكن يدي تمر خلالها..

أبتسم لمشاهدة أمي. كم أوحشتني.. عقلي ينشط بشدة وهو يقول لي: الموتى لا يعودون للحياة!

تبًا إنها تفتح باب الغرفة، أسمع صراخ أمي والمرأة بالداخل..

أسمع صوت أبي مهددًا بكلام لا أستطيع فهمه..

أمي تمسك المرأة من شعرها وتسحبها بعنف عن فراشها، وهي تصرخ كيف لصديقتها القريبة أن تفعل هذا مع زوجها، تدفعها المرأة بعنف للوراء وهي تحاول تخليص نفسها من أمي، ولكن يدي أمي تحولتا إلى قبضتين من فولاذ حول رقبة المرأة التي دفعت أمي بعنف بقدمها لتصطدم القدم بالبطن.. أرى أمي

تسقط على الأرض وهي تصرخ في فزع.. دماء قليلة أراها تنساب على ساق أمي ثم بدأ النزيف.. إنها تفقدني.. الحمل سيسقط.. إنني أموت في تلك اللحظة.. أبي يقف فاغر الفم لا يستطيع التصرف.. المرأة تجري لترتدي ملابسها وهي تصيح أنها لا تريد فضائحًا وأنه خطؤها..

ترتدي ملابسها بسرعة وتكاد تمر من جوار أمي التي ما زالتْ تحاول حفظ اتزانها وتقوم.. يد أمي تلمس مزهرية على منضدة بجوار الباب، عندما توشك المرأة على الخروج من الغرفة. أرى يد أمي ترتفع لتهبط بكل ما تبقى لها من قوة على رأس المرأة.. التي سقطت أرضًا وراحت الدماء تنزف بغزارة من جرح كبير في رأسها، وقد توغل جزء من حطام المزهرية في الرأس، كانت المرأة ترفرف على الأرض الآن كالطير الذبيح..كل شيء تم في دقائق معدودة، منذ دخلت أمي الغرفة حتى وفاة المرأة..

أبي يمسك يد أمي وهي تزيحه جانبًا وتبكي.. يصرخ فيها إنه سيصلح كل شيء لا تقلقي.. اللعنة، لماذا أرى كل هذا؟ يجب ألا أصدق شيئًا مما أرى.. هذه هلاوس.. هلاوس!!

المرأة غارقة في دمائها أسفل قدمي، أبي يحاول استرضاء أمي التي كانت تصرخ بهستيريا وهي تضع يديها على عينيها،

النزيف مستمر، يحملها أبي ويهبط السلالم بسرعة، بعد دقائق أسمع صوت محرك سيارة بالخارج قبل أن أسمع صوت صرير عجلاتها بالأرض وهي تغادر الفيلا.. أنا والقتيلة فقط بالداخل، أكاد أشعر بروحها حولي في المكان وكأنها طاقة تتمرد تريد التحرر.. هل ماتت حقًا؟!

كيف خرج أبي وأمي من تلك الورطة إنني لم أسمع شيئًا حدث لهما في حياتهما بهذه الصورة البشعة.. بالتأكيد سأفيق الآن وأجد كل شيء انتهى.. ولكن لمتى سأظل هنا؟ هل أخرج.. أخرج بحالتي تلك هذا جنون!

وهل هناك جنون أقوى مما أنا فيه؟

يجب أن أخاطر وأفر بنفسي من هنا.. نفسي.. أفهقه بصوت عال إنني شبح يا سادة.. شبح يرى بنفسه جريمة ارتكبتها أمه وهي حامل فيه..

اهدأ قليلاً وأحاول التماسك وأنا أنظر لعقارب الساعة التي شعرت أنها تدور بصورة أسرع من المعتاد، ساعتان تقريبا مرتا منذ الجريمة.. لو صح التعبير عنها بجريمة، ولكن أية جريمة أقوى..

أخيانة الصديقة وخيانة الزوج أم موت الصديقة؟!

أسئلة كثيرة تضرب عقلي في تلك اللحظة لو كنت ما زلت أمتلك هذا العقل ولم أجن فعليًا..

سمعت صوت سيارة تدخل من باب الفيلا الخالية، وصوت بابها وهو يفتح ويغلق، لم تمر دقائق حتى رأيته يدخل من باب الفيلا.. كان أبي فوزي الخولي بشحمه ولحمه، كانت أسمى معالم القلق والحيرة تتطلق من محياه، ظل واقفًا لثوان وهو يزفر في عمق رهيب.

جثة المرأة ما زالتْ في غرفة النوم..

أقف في مكاني متطلعًا له بعينين خاويتين من المشاعر، لوهلة شعرت أنه أحس بوجودي في المكان عندما تسمرت عيناه عليّ، ولكنه كان ينظر لما ورائي إلى تلك الساعة التي تعلن قرب وصول النهار..

رأيته يصعد لأعلى بسرعة.. وأنا وراءه متطلعًا لما يفعله، دخل غرفة النوم.. جاء بملاءة السرير ولف بها جثة المرأة.. كان يكلم نفسه ويعاتبها، عرفت من حديثه مع نفسه أن زوجته وهي أمي مازالت في المستشفى وحالتها حرجة، وقد تفقد الجنين.. مؤكد أنا مطمئن أن أمي لن تفقدني وأنني سوف أجيء للدنيا بعد مدة ليست ببعيدة.. أي جنون يظل يداعب عقلي وأنا أرى أبي يحمل جثة المرأة هابطًا إلى أسفل.. ما الذي يفعله.. إنه يتجه بالجثة

إلى القبو.. أهبط خلفه.. أرى القبو القديم الذي كان يشدد أبي دومًا علينا ألاّ ننزل إليه خاليًا إلاّ من معدات بسيطة..

إنه يخلع بلاط القبو.. ويحفر.. معقولة.. هل ما يحدث حقيقي؟!

اتسعت الحفرة لتسع جسد المرأة.. فوضعها بداخلها، وراح يهيل التراب على الجثة.. اللعنة! توقف!

يستمر في إهالة التراب حتى تختفي الجثة نهائيًا، أقف متسمرًا في مكاني عندما يصعد لأعلى وهو يحمل البلاط المكسور.. ثم يعود وهو يحمل على كتفه قصعة مليئة بالأسمنت يصبها فوق الجثة لتختفي نهائيا..

كنت أراقب تحركاته المتسارعة لساعات حتى انتهى تقريبًا من إعادة وضع أرضية القبو كسابق عهدها..

لكنها بحق لم تكن كسابق عهدها بل بداخلها جثة امرأة...

ما الذي قاله لأمي بعد هذا؟.. أما آن لهذا الكابوس أن ينتهي!!

عندما كان يصعد لأعلى كان شبه منهار تمامًا، أراه يغلق باب القبو جيدًا، قبل أن يتجه لغرفة النوم، وراح يزيل كل آثار الدم عن المكان..

الآن بالتأكيد لا أحد يستطيع أن يقول إن هناك جريمة حدثت هنا منذ فترة قليلة.. بل من المستحيل أن تتجه الأنظار إلى رجل

الأعمال والمهندس العبقري فوزي الخولي.. جريمة كاملة!!

فتح الدولاب، ليغير ملابسه لمحتها هناك في جانب الدولاب من الداخل، تلك المرآة الشيطانية.. مستحيل! ما الذي جاء بها لهنا؟!

رأيته يغير ملابسه ولم أعرف لماذا مد يده ليسحب المرآة ليتطلع لهندامه في تلك اللحظة كنت وراءه شاهدت انعكاس جسدي ووجهي خلفه في المرآة.. شاهدت نظرة عينيه المذعورتين وهو يشاهدني خلفه عبر المرآة.. قبل أن أشعر بجسدي وكأنه يتفتت والظلام يحيط بي من كل جانب، وتختفي الغرفة بأبي بما كان يحمله بين يديه.. لأغرق في عالم مظلم عجيب لدقائق.. قبل أن أسمع ارتطام جسدي بالفراش.. ظللت مغمضًا عيني لدقائق، فتحت عينيّ بعدها بصعوبة وكأن هناك من يجبر جفني على أن يغمضا..

كنت في غرفتي.. كل شيء حولي كما تركته بالضبط.. لا شيء تغير..

نظرت في الساعة بجواري وجدتها لم تتقدم تقريبًا سوى دقيقة في الغالب...

راح الألم يضرب جسدي وأنا أحاول أن أعتدل على الفراش..

شيء قوي يقول لي إن ما رأيته لم يكن كابوسًا.

وبداخلي كان هناك فضول قوي أن أهبط للقبو باحثًا عن بقايا جثة دفنت فيه منذ سنوات بعيدة، بل قبل مولدي..

لكني آثرت الراحة.. وشعرت بالنعاس يسيطر عليّ..

قبل أن أغطّ في نوم مليء بالكوابيس.

❖❖❖❖

الفصل الثالث

الدم، ذاك المذاق الذي شعرت به على شفتي عندما قمت من نومي مفزوعًا. عالم من الكوابيس أخذ يطاردني أمس لدرجة أنني لم أعد أعرف ما الذي يحدث حقًا..

كنت مازلت في فراشي أتأمل الغرفة حولي. كل شيء طبيعي. إذن ما الذي رأيته أمس.. وما هذه الهلاوس المجنونة عن أمي وأبي وكيف كانت بهذا الوضوح. هل بدأ المرض يعبث بعقلي؟!

كنت في طريقي للحمام عندما ارتفع رنين الهاتف المحمول، رحتُ أتأمل الغرفة وأنا أبحث عن مكان الهاتف.. وجدته ملقى بجوار الفراش كان المتصل صديقي شريف، بالتأكيد هو لم ينم منذ الأمس يفكر فيما قلته له ويديره في رأسه.. ضغطت على زر استقبال المكالمة فجاءني صوته متلهفًا وهو يقول:

- "أين كنت يا رجل؟! لقد اتصلت بك عدة مرات ولم ترد فأثرت خوفي بشدة."

تطلعت للهاتف فوجدت أنه اتصل أكثر من عشر مرات؛ فقلت وأنا أحاول أن أفهم كيف لم أسمع رنين الهاتف:

- كنت نائمًا وكان الهاتف على الوضع صامتًا."

- "وهل كان جرس الفيلا أيضًا على الوضع صامتًا.. لقد جئت إلى الفيلا وظللت على الباب لفترة وأنا أضغط الجرس في إلحاح ولكنك لم تجب أيضًا.. لقد كدت أتصل بالشرطة."

بلعت ريقي وأنا أتساءل كيف تم كل هذا، هل كنت غارقًا في النوم لهذه الدرجة.. فقلت في محاولة لتهدئة انفعاله:

- "واضح أنني نمت كميت.."

وكأن كلمة ميت أرجعته لهدوئه وخففت من حدة التوتر في كلامه وهو يقول لي:

- "المهم أنك بخير."

لم أعرف لماذا تسارعت أنفاسي وأنا أسأله في توتر:

- "لماذا كل هذه الجلبة في البحث عني؟"

جاء صوته مترددًا قليلاً قبل أن يقول شريف:

- "ألم تر نشرة الأخبار أمس؟.. لقد حرقتْ شركة عبد الحميد جابر ذلك الرجل الذي قلت لي إنك شاركته في أكبر صفقة في حياتك.."

وجدت نفسي أحاول هضم الحدث قبل أن أقول:

- "متى حدث هذا؟!"

- "جاء الخبر في التلفاز بعد أن تركتك بساعتين تقريبًا.."

وجدت نفسي أهرش أسفل أنفي بصورة أعرفها عندما يكون القلق عاصفًا بي، وأغلقت الخط مع شريف بوعد لقائه في المساء، خصوصًا أنه أخبرني أن طلبي الذي طلبته منه عن تلك الساحرة التي كانت تتردد عليها زوجته أصبح وشيك الحصول وعليّ فقط أن أتصل به لأحدد الموعد..

جاءني بعدها اتصال من هالة تقول نفس الشيء عن احتراق شركة عبد الحميد جابر وأنه يجب عليّ أن أتصل بالرجل لمواساته على الأقل، ضحكت وقتها بشدة.. احتراق عشرات الشركات لعبد الحميد لن تفرق معه أي شيء، كان رد فعلي غريب بالنسبة لهالة، ولكنها أصرت أن عليّ أن أتصل بالرجل في أقرب وقت، وألا أتأخر اليوم فهناك الكثير من الأمور المعلقة في العمل. أصبحت هالة

تتعامل معي وكأنها تملك الشركة وتملكني أنا أيضًا فوق البيعة.. لا يهمّ.. ما أنا فيه كفيل بأن يجعل حياتي كلها على حافة الجنون والانهيار، فحادث الشركة لن يضيف كثيرًا إلى الأمر..

كنت قد انتهيت من ارتداء ملابسي وأعددت كوب القهوة الصباحي ورحت أحاول قراءة الجرائد التي جلبتها أمس أثناء عودتي، تسمرت عيناي على صورة لحادثة..

كانت الحادثة بشعة وأنا أقرأ التقرير عنها.. العثور على جثة فتاة في منتصف العشرينات، مذبوحة في الهرم.. المجرم قد ذبحها وفصل رأسها بالكامل عن الجسد، فوجد جسد الفتاة دون الرأس وما يزال البحث جاريًا للوصول إلى باقي الجسد..

برغم بشاعة الحادثة ولكن لم يثرني الخبر بدرجة أصل لحافة الهاوية عندها إلاّ عندما وقعت عيناي على ملابس الفتاة.. وراح مخي يغلي وأنا أحملق في الصورة بدهشة رهيبة، فهذه الملابس كانت تخص فتاة البار.. تلك الفتاة التي جالستها أول أمس في البار ووجدت خاتمها في سيارتي.. أين وضعت هذا الخاتم.. وجدت نفسي أقفز من مكاني لأصعد لغرفتي مرة أخرى.. المرآة العجيبة في مكانها لم ألق لها بالاً وأنا أتجه للدولاب، وأفتش في جيوب البذلة التي كنت أرتديها أمس.. لم أجد الخاتم. حاولت التذكر

أين وضعته، فلم أستطع في البداية ولكن أصابعي اصطدمت به في جيب بنطلون معلق بعد فترة من البحث.. أخرجته ورحت أحدق فيه وعقلي مشتعل.. ما الذي حدث بالضبط؟ مستحيل!.

خاتمها معي، وأنا فقدت الوعي لفترة لا أدريها فهل كانت معي عندما قتلت، ولماذا لم يقتلني من قتلها؟

كلاّ. إنه أنا! تبًا!

لا أستطيع أن أفكر لثوان أنني من قتل هذه الفتاة ومزق جسدها بهذه الصورة..

ما الذي يحدث بالضبط لي؟!

كدت أن أجن وأنا أحمل الخاتم في يدي وأدور في الغرفة كالمجنون، ودقات قلبي ترتفع لدرجة غير مسبوقة، ارتجف بدني بشدة عندما ارتفع رنين هاتف المحمول بغتة.. كانت هالة مرة أخرى.. لن أرد..

واصل التليفون رنينه لفترة، ثم هدأ لدقائق..

عادت مرة أخرى هالة للاتصال:.

جلست على طرف فراشي شبه فاقد التركيز تمامًا.. رفعت السماعة ليأتيني صوتها متسائلاً لماذا تأخرت للآن؟! طلبت منها

أن تؤجل كل مواعيد اليوم فإنني أحتاج لأجازة وأشعر بالتعب، رنة الضعف في صوتي أصابتها بالقلق، فقالت هل تجيء لي وتجلب طبيبًا، قلت لها لا، عليها أن تسير الأمور في الشركة اليوم دوني، وغدًا سأكون موجودًا بالتأكيد..

صمتت لفترة وكأنها تفكر قبل أن ترد قائلة وهو كذلك..

فجأة تذكرت ذلك الوهم الذي عشت فيه أمس عندما شاهدت أمي قاتلة.. ولا أعرف ما الذي جعلني أجمع بين الحادثتين وكأنهما حادث واحد..

شيء جعلني أربط بين موت فتاة البار وبين هذه الهلاوس شبه الحقيقية التي طاردتني أمس. إنني أطارد الوهم! حاولت أن أستجمع شجاعتي وأنا أنزل لقبو الفيلا..

أتأمل القبو والأشياء الكثيرة المبعثرة بالداخل ذكريات الطفولة كلها..

إنني أتذكر بالضبط المكان الذي رأيت فيه أبي يدفن تلك الجثة.. أرض القبو أمامي.. أخذت أزيح الأشياء جانبًا من القبو حتى ظهرت لي تلك المنطقة الشاغرة التي رأيت أبي يحفرها أمامي في ذاك الوهم.. أريد أن أبحث عن شيء لأحطم بلاط أرضية القبو في ذاك المكان..

رحت أتلفت حولي فلم أجد شيئًا ينفع.. حجرة البواب المغلقة بالتأكيد سأجد فيها مِعوَلاً ورفش، وجدت نفسي أقفز السلالم صاعدًا لأعلى متخذًا طريقي إلى غرفة البواب، كانت الغرفة من الداخل عبارة عن أكوام من التراب وفراش متسخ، في أحد الجوانب وجدت ما أبحث عنه. معول ورفش وكأنهما مجهزان للعمل. أخذتهما وعدت أدراجي إلى داخل الفيلا متجهًا للقبو..

دقائق وكنت أهبط بالمعول على البلاط بعصبية بالغة.. وكلما تكسر البلاط بفعل المعول وعنف ضرباتي أشعر أنني نفسي من ينكسر من الداخل..

لماذا لا أتراجع والفرصة سانحة؟ ما الذي أنتظره؟ أن أثبت أن أمي قاتلة؟!

اللعنة!

أشعر بثقل في رأسي.. ساقاي لم تعودا قادرتين على حملي. جسدي كله يهتز بقوة..

أستند إلى حائط القبو، أبلع ريقي بصعوبة، الهواء قليل، أجلس على الأرض وظهري في الحائط أحاول أن ألتقط أنفاسي.. يدي تلمس شيئًا ما.. أتحسسه ما هذه اللزوجة.. سائل يقترب مني.. من أين يأتي هذا التسرب؟!!

أنظر لأسفل يدي ثم أتراجع بظهري فزعًا ما تحت يدي كانت دماء.. دماء طازجة تسيل..

تجحظ عيناي وأنا أبحث في جسدي عن مكان لجرح ولكن عيني تصطدمان بالمكان الذي كنت أحفر فيه منذ قليل.. اللعنة.. الأرض تنشع بالدماء.. صوت قوي يصم أذني.. انفجار ما.. تبًا! ما هذه الدماء التي راحت تزداد بصورة رهيبة، وكأنني ضربت ماسورة مياه فانفجرت وسط المكان دمًا.. ملابسي كلها غرقت في الدماء.. المكان والحائط والقبو..

تحاملت على نفسي وأنا أحاول الفرار من هذا القبو اللعين.. أصعد سلالم القبو وأشعر وكأن الدماء قد صار لها شكل مادي وراحت تطاردني.. شيء يمسك قدمي ويكبلني وأنا أواصل الصعود لأعلى بمنتهى القوة التي أملكها آنذاك..

أخيرًا كنت خارج القبو.. فأغلقت بابه بعنف وأنا أسحب أحد المقاعد لأضعه وراء الباب.. قبل أن أسمع صوت شيء ينسحب متراجعًا للداخل..

سحبت نفسي إلى الحمام، خلعت كل ملابسي المغطاة بالدماء والتراب إثر الحفر، وتركت المياه تنساب عليَّ. كنتُ أشعر بمذاق الدماء على شفتي.. شعرت بأنني بدأت أستعيد جزءًا من إحساسي بجسدي الذي كنت قد فقدت تقريبًا السيطرة عليه..

غادرت الحمام بعد أن أبدلت ملابسي كاملة.. أحتاج لكوب دافئ من الشاي.. ما الذي حدث بالضبط؟!

كلاَّ.. لن أعود للقبو مرة أخرى.. لن أغامر ضد مجهول أقوى مني..

رحتُ أهزّ رأسي بعنف وكأنني أحاول أن أطرد كل مخاوفي جانبًا..

المخاوف هذه المرة مؤلمة بشدة بل دموية..

غادرت الفيلا وأنا في حالة يرثى لها.. كنت أريد شريف في تلك اللحظة لا أعرف لماذا، ولكني أحتاج لشخص بجانبي ولو لوقت قصير.. تلقى شريف اتصالي به في لهفة عليَّ قلت له إنني أنتظره أسفل عمارته وعليه النزول.. لم تمر دقائق قليلة حتى وجدت شريف يفتح باب السيارة ويجلس بجانبي وهو يقول:

- "أنت بخير؟!"

هززت رأسي وأنا أدير المحرك وأنطلق.. كانت الشوارع مليئة بالمارة ولكن أمام عيني كنت أشعر أنني وحدي الآن وسط شوارع مجنونة.. أخيرًا وقفت أمام باب شركتي، وقلت له أن ينزل..

نزل شريف وهو يحاول الفهم لماذا جئت به الآن إلى الشركة.. كانت الساعة تقارب الثانية ظهرًا تقريبًا، طلبت من صفوت وأنا

أدخل أن يجلب لنا كوبين من القهوة لمكتبي، دخلت المكتب وجدت هالة تجلس مكاني وأمامها العديد من الأوراق، رحبت بشريف وهي تبتسم ابتسامتها المتألقة وتدور حول المكتب لتضع يدها في يده، ونظرت لي بتعجب وحيرة وهي تقول:

- "ألم تقل إنك تحتاج لراحة اليوم؟"

أجبتها وأنا أجلس وأشير لشريف أن يجلس في مقابلتي:

- "وجدت نفسي أحسن حالاً فأتيت.. هل من أخبار جديدة؟"

قالت وهي تبتسم:

- "لا تقلق كل شيء يسير على ما يرام وبدقة وجميع ما تم تنفيذه اليوم ستجده مسجلاً في الأوراق أمامك.. وكما توقعت أنت.. احتراق شركة عبد الحميد جابر لم يشغله كثيرًا وعندما اتصلت به للاطمئنان قال إن التأمين سيتكفل بكل شيء."

هززت رأسي وأنا أتأمل الأوراق قائلاً:

- "أرجوكِ استعجلي صفوت ليأت بالقهوة سريعًا ولا أريد أية مقابلات اليوم، ولا يزعجنا أحد.. تفضلي."

استغربت هالة نبرة صوتي وأوامري التي بدت لها عسكرية وهي تتصرف وعيناها متسعتان متسائلتان، لكنها لزمت الصمت وهي تغادر الغرفة وتغلق الباب خلفها..

قال شريف بصوت حاول أن يجعله هادئًا:

- "يجب أن تخبرها.."

وضعت بعض الأوراق جانبًا وأنا أقول:

- "لا تشغل بالك بها الآن.. لدي الأهم."

- "الأهم؟!"

- "بلى.. أبي وأمي."

اتسعت عينا شريف ذاهلاً وهو يتمتم:

- "يرحمهما الله. لا أفهم. ما الذي يحدث بالضبط؟"

دخل في هذه اللحظة صفوت بالقهوة وضعها أمامنا فصمتُ لوهلة وعينا شريف تتوغلان في ملامحي يحاول بكل جهده سبر أغوارها.

قلت وأنا أحاول التماسك:

- "ماذا لو قمت من النوم صباحًا واكتشفت أن أمك وأباك قتلا شخصًا ما؟"

هب شريف من مقعده وقد تقطب جبينه:

- "عن ماذا تتحدث؟!"

أخذت نفسًا عميقًا وأنا أقول:

- "سأحكي لك كل شيء في وقته، ألا يقولون من يقترب من الموت يرى الكثير.. لا يهم المهم الآن أريد منك خدمة."

أومأ برأسه وهو يقول ساخرًا:

- "أعرف الساحرة الشريرة."

- "ليس الآن؟ أريد مقابلة ابنة عمك الدكتورة نورهان."

قال شريف وهو ينظر لي في دهشة:

- "ليتك طلبت الساحرة.. نورهان ألا تخاف.. إنني أخاف عندما أسلم عليها، بل لو حدث أغسل يدي عشرات المرات بالمطهرات."

- "ليس لهذه الدرجة إنه عملها."

- "عملها إنها مجنونة.. دكتورة في الطب الشرعي طوال يومها تشرح في جثث وتقول عملها.. ولكن أخبرني لماذا تريد مقابلتها أليك جثة تحاول تشريحها."

انطلقت ضحكة شريف عالية وقد راقت له دعابته بينما أنا أقول:

- "كلاّ.. الجثة لديها هي الآن.."-

اتسعت عينا شريف ذعرًا وهو يضع فنجان القهوة جانبًا وهو يقول:

- "إنني لا أريد أن أعرف أي شيء.. أنت أصبحت مليئًا بالألغاز.. سأتصل بها وأحدد لك موعدًا معها.. والآن دعني أنصرف فلدي أشغال لا تنتهي وأنت محتكرني منذ أمس."

قام شريف وغادر الغرفة دون أن ينتظر ردًا مني، وكأنه كان يكفيه ما مرّ به منذ أمس بسببي.. تراجعت بالمقعد للوراء ورحت ألقي نظرة من أعلى على الشوارع عبر نافذة المكتب الزجاجية.. كم سأفتقد تلك الشوارع قريبًا.. إنني جاهز للرحلة الأخيرة. لكن عليّ قبل مغادرتي الحياة أن أفهم ما الذي صار يحدث لي منذ اكتشاف حالتي المرضية. هالة تقتحم المكتب بوجه عبوس ونظرة متمردة.. تقف قبالتي وتنتظر أن أتكلم. ولكني أواصل التحديق في الشوارع قبل أن تقول بصوت به رنة غضب:

- "ما الذي تخفيه عني؟"

ابتسمت لغضبها الطفولي وأنا أقول:

- "اجلسي يا هالة.. أريدك في شيء هام."

تهدت بصوت مسموع ثم جلست وهي تضع ساقًا على ساق وعيناها معلقتان بشفتي:

- "ما رأيك في أن أكتب نصف الشركة باسمك؟"

تطلعت لعيني في استغراب وذهول وهي تتمتم:

- "نصف الشركة باسمي؟! لماذا؟! ما الذي تريده بالضبط إنني لا أفهمك حقًا في الفترة الأخيرة؟!!"

- "كما قلت لك أريد أن أسجل نصف الشركة باسمك.. وليس الشركة فقط بل الفيلا أيضًا.. ولكن بشرط.."

- "شرط!"

- "نعم شرطي أن لا أحد غيري يدخل الفيلا بعد..."

- "لماذا تتكلم بهذه الصورة العجيبة وكأنك تودع الحياة.. أهو نوع من الاختبار لي، أنت تعلم أنني لم أكن يومًا من الطامعين في ثروتك.. ولو كان هذا اختبارًا فإنني أرفضه، بل ومستعدة أن أفسخ خطوبتنا لو كان هذا سيريحك من شكوكك.. أصبحت غريبًا جدًا.."

لا أعرف لماذا ضحكتُ عاليًا فانتابني سعال قوي؛ فهبتْ هالة لتناولني كوب الماء.. رشفتُ بعض الماء قبل أن أشكرها وأقول في بساطة:

- "برد.. المهم لو قلت لك إن هذا في مصلحة العمل الآن..

أنت تعرفين أن مشاركة عبد الحميد جابر مخاطرة ليست بسهولة، ولولا أن السيولة المادية للشركة الآن لا تسمح لم يكن أبدًا مددت يدي إليه، ولكن في نفس الوقت لا أحد في مصر يستطيع أن يرفض صفقة مع عبد الحميد جابر.. أنت بالتأكيد تعلمين مقدار نفوذه. لذا من الأفضل أن يظل جزءًا من الشركة بعيدًا عنه، هل فهمت؟"

بدا وكأنها تفكر جليًا في الأمر برغم أنها لا تستوعبه، وطبيعة الأنثى بداخلها تقول لها إن ما أخبره به ليس حقيقيًا مائة بالمائة.. ولكنها استسلمت في النهاية وهي تقول:

- "افعل ما تريد.."

- "صدقيني ستفهمين أهمية الأمر في وقته.. المهم الآن اتصلي بمحامي الشركة ليقابلني غدًا في العاشرة صباحًا.."

أومأت برأسها وهي تتطلع لي وبدت صامتة حتى قامت من مكانها لتغادر الغرفة في حيرة بالغة..

❖❖❖

مرّ الوقت علي بطيئًا في الشركة، هالة في مكتبها.. أعرف أنها لم تغادر الشركة بعد، برغم تجاوز الساعة السادسة مساء..

أخبرتني عبر الهاتف أنها أعطت الميعاد للمحام، وكأنها تقول لي يكفي ما رأيته من غموضك اليوم.. أخيرًا رايت نمرة شريف على هاتفي عندما ارتفع رنينه، مددت يدي للهاتف وأنا أضغط زر استقبال المكالمة فجاءني صوت شريف وهو يقول لي إنه أخبر نورهان برغبتي في مقابلتها وإنها لا تمانع ولكنها لن تغادر عملها اليوم قبل العاشرة مساء ويمكنني أن أمر عليها في المشرحة، وقال إنه لا يريد لنفسه بمشكلة مع نورهان فهي لم تنس بعد أنه رفض حبها في وقت ما وتزوج غيرها..

وعدته ألاّ أتطرق لهذه المسائل الشخصية التي لا تخصني، وقبل أن يغلق الهاتف قال لي أيضًا إن تلك الساحرة التي طلبتها متوفرة في أي وقت..

فطلبت منه أن يأتي بها للفيلا عندما أتصل به.. ربما سمعتُ زمجرته وتبرمه، لكنه في النهاية استسلم وهو يخبرني أنه سيفعل ما أطلبه منه بحكم صداقة السنين..

مرت ربع ساعة بعدها كنت أستجمع فيها تفكيري وفيما سوف أقوله للدكتورة نورهان عندما أقابلها آلاف الأفكار راحت

تدور في عقلي، حتى عندما كنت أغادر المكتب وأنصرف لم ألق نظرة أخيرة على هالة لتوديعها، ليكن بمجمل غموض أحداث اليوم بالنسبة لها، راحت السيارة تقطع الشوارع في طريقها تجاه المشرحة حيث عمل نورهان، أتأمل الشوارع بشغف كأني أراها لأول مرة في حياتي.. النهار كان قد انسحب وترك لليل سطوته، لم أعرف كم من الوقت مضى حتى أصبحت أمام باب المشرحة، ركنت السيارة وترجلت وأنا أنظر للمكان بغموض، وكأني داخل على تجربة جديدة وهي كذلك بالفعل..

كان هناك حارس يقف أمام الباب سألته على الدكتورة نورهان فقال إنها ما تزال بالداخل، إضاءة المشرحة الخافتة وصوت حذائي وهو يقطع الممرات متسائلاً عن مكتب نورهان بدا لي وكأنني في طريقي لارتكاب جريمة قتل..

ساعي المكتب أشار لي على غرفة في نهاية الممر وقال إنها بالداخل ملابسي وهيئتي قالت له إنني شخصية هامة فالح علي إن رغبت أن أنتظرها في مكتبها، فقلت له إنها تنتظرني ومن الأفضل أن لا أتأخر عليها فأشار لي على الباب وهزّ رأسه.. قطعت الممر مسرعًا لباب غرفة التشريح..

فتحت الباب فشعرت وكأن هناك برودة تتسرب تحت جلدي

أصابتني بالقشعريرة، تنحنحت وأنا أدخل لتنبيه نورهان لدخولي. كنت قد قابلت نورهان من قبل في عدة مناسبات اجتماعية ولكن في تلك اللحظة شعرت أنني أشاهد شخصًا آخر. كانت ترتدي معطفًا أبيض وقفازين وقد تلوث القفازين والمعطف بالدماء.. نظرت لي وكأنها تصرخ في وجهي ما الذي أدخلك إلى هنا.. كانت أشبه بجزار انتهى لتوه من ذبح بهيمة.. حيث كانت هناك جثة مشقوقة الصدر أمامي، وكانت نورهان تحمل في يدها أشاء دخولي كبد ميت.. وضعته في مبرد على المائدة بجوارها وهي تقول:

- "ما الذي جاء بك لهنا؟"

- "بيننا موعد أظن شريف أخبرك.."

- "من الأفضل أن تنتظرني في غرفتي فهذا مكان عمل.."

لم ألق لها بالاً وأنا أقول:

- "من المدهش أن يكون عملك هو الموتى.. كيف تتمايشين هكذا؟"

خلعت قفازيها وأغلقت المبرد قبل أن تكتب فوقه رقمًا وهي تقول:

- "هيا معي للخارج.. الموت له حرمته."

كدت أن أضحك وأنا أتخيل ردي عليها أية حرمة تقصدها وهي قد انتهت من توها في تشريح جثة ما.

كانت تشير بيدها أن أغادر غرفة التشريح أمامها، نظرة حازمة من عينيها جعلتني أتحرك وأنا أهزّ رأسي بتؤدة، مشت خلفي لهنيهة ثم تقدمتني إلى مكتبها قالت وهي تجلس إلى المكتب:

- "يجب أن تخبره أنه رجل متزوج وما يفعله لا يصح.. يجب أن يوقف مطاردته لي."

ماذا تظن هذه المجنونة. إنني جئت من أجل شريف، ماذا لو عرفت رأي شريف الحقيقي فيها.. ابتسمت في هدوء وأنا أقول:

- "الحقيقة لا دخل لشريف لمجيئي لهنا."

- "إذن ما الأمر.. ما الذي يأتي بشخص مثلك لهنا."

- "الموت.. عذرًا.. إنني في أيامي الأخيرة على هذه الأرض.. كلام الأطباء. سرطان"

لانت نظرتها قليلاً وهي تتطلع لوجهي ونظرة متسائلة تبدو مطلة من عينيها الباردتين، فقالت وهي تتنحنح:

- "آسفة.. ولكن ما الذي في يدي لأقدمه لك؟"

- "هل تؤمنين بالروح؟ وأن الإنسان في أيامه الأخيرة قد يرى أشياء لا يراها غيره."

- "بالطبع أؤمن بالروح لكني أشك في موضوع الإحساس بدنو الأجل ومشاهدة خوارق إنها خزعبلات.."

اقتربت بوجهي منها وأنا أهمس في صوت رغبت أن يكون مخيفًا لها:

- "ولكن هذا ما يحدث لي حقًا.. إنني بالفعل أرى أشياء لم يرها أحد قبلي."

- "ربما عليك أن تزور طبيبًا نفسيًا."

- "لا يهم الآن.. ما الذي سيفيدني من زيارة طبيب نفسي.. الذي سيفيدني اليوم أن تساعديني فيما سأطلبه منك.."

- "مني أنا؟!"

- "بلى.. أريد رؤية جثة جاءت لهنا بالأمس.."

- "بأية صفة؟ هل صاحبها يخصك، شخص من العائلة، أية جثة تحديدًا؟"

- "جثة لن تخطئيها.. جثة فتاة مقطوعة الرأس.."

ظهر الذهول على ملامحها لهنيهة وهي تستجمع تفكيرها قبل أن تقول:

- "لابدّ من تصريح لهذا، من الأفضل أن تذهب لتأتي به أولاً.. والأفضل أن يحضر معك شخص من القسم.. هكذا تجري الأمور."

- "لا داعي لكل هذا، هي نظرة فقط عليها وسأنصرف من أمامك بعدها.."

قالت وقد بدا عليها التفكير والفضول:

- "كما قلت لك هذا غير قانوني الأفضل لك أن تنصرف.."

- "حتى لو قلت لك إن هذه النظرة الصغيرة قد تضيف لحسابك في البنك رقمًا أمامه خمسة أصفار."

اتسعت عيناها وبدتا مخيفتين وهي تقوم من أمامي قائلة:

- "دقائق وسوف أعود إليك."

خرجتْ من غرفة المكتب مسرعة، هل يجب أن أغادر، هل سوف تتصل بالشرطة، ماذا ستخبرهم شخص يعرض عليها مبلغًا ضخمًا لمشاهدة جثة قتيلة..

كانت بالفعل تتحدث في الهاتف الخلوي.. وصل لي بعض من حديثها وصوتها يبدو منزعجًا، جاء اسم شريف على لسانها عاليًا، من الواضح أنها كانت تحتد عليه، ولكنها عندما عادت بعد عدة دقائق كانت ملامحها باردة وبدت مستسلمة لفكرة ما وهي تقول:

- "دقيقة لا أكثر، ستلقي نظرة على الجثة وتنصرف لا أريد

أن أراك بعدها مرة أخرى هنا، ولا أريد بالطبع نقودك القذرة.. هيا معي.."

أومأت برأسي مستسلمًا لأوامرها، فتحركتُ خلفها ولم تمر برهة حتى كانت تمد يدها لتسحب أحد أدراج ثلاجة الموتى وتكشف الغطاء عن الجسد العاري أمامي.. كان التشريح واضحًا على الجثة التي أمامي.. جثة لجسد فتاة في منتصف العشرينات كما ورد في التقرير الذي سمعته من نورهان قبل ذهابي وقد فصلت الرأس عن العنق بسكين ضخم.. لابدّ أن الجثة نقلت من مكان لآخر، لأن حيث وجدتْ لم يكن هناك نزيف ضخم من الدماء برغم القطع الرهيب للشريان في العنق... حاولت أن أتبين مكان الخاتم الضخم في إصبعها ولكن للأسف لم أستطع.. وعندما غادرت المشرحة في النهاية ونظرات نورهان متحفزة، كنت لم أصل بعد لحقيقة الجثة، هل هي للفتاة أم لا.. ولكن الذي أثارني أكثر ما الذي فعله شريف ليجعل نورهان تفعل ما فعلته برغم رفضها الواضح والصريح له.. ربما لغز جديد يضاف لحياتي المجنونة هذه الأيام.

عندما انطلقت بالسيارة هذه المرة كنت على استعداد كامل لمواجهة الموت ولكن ليس قبل أن أعرف ما الذي يحدث لي.. ولماذا؟!!

الفصل الرابع

كنت أحاول أن أطمئن نفسي برؤية جثة فتاة البار، ولكنني ازددت حيرة وقلقًا. اتصلت بشريف لأعرف منه كيف أقنع نورهان بأن أرى الجثة دون تصريح، ضحك عاليًا وهو يقول وقتها لقد قلت لها إنني مدين لك بمبلغ ضخم جدًا وأنني أهدده بشيكات لدي، وأنني أصبحت أخرف في الفترة الأخيرة لاقترابي من الموت بشكل ما، وجنوني قد يكون خطرًا أحيانًا فمن الأفضل مجاراتي في الأمر.. لم يخفها قول شريف إنه قد يسجن قدر خوف المرأة الطبيعي أن يكون ما يقف أمامها شخصًا مجنونًا خطرًا.. بل ارتفعت ضحكته عالية أكثر وهو يقول إنه يظن فعلاً أنني مجنون هذه الأيام.. والأفضل لي أن أجد طريقة للسفر للعلاج بالخارج بدلاً مما يحدث..

أنهيت حديثي مع شريف أن عليه أن ينفذ الطلب الأخير الذي طلبته منه وأن يأتي بالساحرة لزيارتي في الفيلا.. قال إنه

سيتصل بها ليعرف رأيها ويعاود الاتصال بي.. مرت ساعات منذ أتيت إلى الفيلا ولم أتلق اتصالاً من شريف هل نسي.. كنت في غرفتي أحدق في تلك المرآة أمامي وأنا أحاول أن أبدو أمام نفسي طبيعيًا. بالفعل بدأت أشك في تصرفاتي في الفترة الأخيرة ولكن يجب عليّ الا أفقد قدرة السيطرة على النفس..

ارتفع رنين الهاتف نظرتُ للساعة خلفي، كانت تقترب من الثانية عشر ليلاً..

كان شريف هو المتصل، قال إنه سيأتي بالساحرة خلال نصف ساعة بالكثير.. وأغلق الخط وكأنه ثمة أحد يطارده، هل استهوته لعبة الغموض..

في الواحدة إلاّ الربع صباحًا ارتفع رنين جرس باب الفيلا.. كنت وقتها في البهو الرئاسي للفيلا؛ فذهبت بسرعة لأفتح الباب، كان شريف يقف بالفعل وخلفه امرأة في منتصف الأربعينيات.. بيضاء، طويلة، عيناها واسعتان متألقتان، وهناك ابتسامة مغرية مرسومة بعناية على شفتيها، كانت جميلة بالفعل ومهتمة بنفسها، من هذه؟!

قدمها لي شريف وهو يدخل قائلاً مبتسمًا:

- الأستاذة سارة عالمة روحانية، أستاذة في علوم السحر وخلافه.

ابتسمتْ سارة وهي تدخل لمزاحه كنوع من أنواع المجاملة، لم أهضم الموقف لشوان فقد كنت أتوقع ساحرة شمطاء عجوزة بيدين معروقتين وعينين جاحظتين، ولكن من أمامي الآن هي سيدة كاملة الأنوثة، وقد تكون مثيرة لحد كبير.. بلعت ذهولي اللحظي وأنا أفسح لهما الطريق مرحبًا بهما:

- "تفضلا بالدخول..."

دخلت سارة وراحت تتطلع للفيلا لشوان، وهي تتأمل كل شيء حولها بدقة بالغة وشعرتُ لوهلة أن أنفها يتحرك وكأنها تتشمم المكان..

كانت ترتدي قلادة عجيبة الشكل تبدو كسلسلة فضية على صدرها. كما أن أصابعها كان بها العديد من الخواتم غريبة الشكل..

تصورت بعد دقيقة أنها ستصرخ وتتشنج وتقول كما يفعل السحرة إن الفيلا مسكونة وبها أرواح شريرة.. لكنها اتجهت لمقعد وجلست في هدوء وهي تقول:

- "الفيلا جميلة فعلاً.. والديكورات مميزة.."

- "ماذا؟! إنني لا أعرض الفيلا للبيع بل من المفترض.."

قاطعتني وهي تضحك قائلة:

- "من المفترض ماذا أن تكون الفيلا مليئة بالأشباح والشياطين.. دعك من شغل الأفلام الأجنبية الهابطة.."

نظرت لشريف باستغراب، الذي قال وهو يتنحنح:

- "الدكتورة سارة صديقة لزوجتي في الأساس، وحقيقة الأمر أنها جاءت معي دون أن تعلم ما طلبك تحديداً.. هل كنت تريد أن تقول حقًا إن الفيلا بها أشباح."

أخذ يتلفت شريف حوله قبل أن أقول أنا بتؤدة:

- "هل من الممكن أن تعد لنا الشاي؟"

ابتسم شريف وقد فهم مغزى عبارتي وهو يقول:

- "ليكن.. سأعد الشاي.."

لم تمر هنيهة حتى كان شريف قد تركنا وحدنا فقالت سارة بصوت متسائل:

- "هات ما لديك.. ما الموضوع؟"

- "هل تسمحين لي بدقيقة؟!"

ضحكت وهي تقول مازحة:

- "أنت الآخر.. الرجلان يتركاني وحدي في بهو فيلا مسكونة."

ابتسمت لها وأنا أتجه للسلم، أخذت الطريق لغرفتي، كانت المرآة في مكانها، فحملتها بيدي ونزلت للأسفل.. كان شريف ما يزال في المطبخ، وكانت سارة تجلس وقد وضعت ساقًا على ساق وهي تعبث بيدها في السلسلة التي على صدرها.. كنت أقترب من مكانها فرفعت عينيها نحوي ونظرت للمرآة في يدي.. قبل أن تهب من مكانها فزعة وتنظر لي بنظرة جديدة مليئة بالتخوف.. شيء في أفزعها يا ترى؟

قالت وهي تتراجع خلف المقعد التي كانت تجلس عليه:

- "من أين أتيت بهذه المرآة؟"

- "لماذا؟!"

- "ألا تعرف أي جحيم تحمله بيد يديك الآن ؟!"

اتسعت عيناي وأنا أراقب عينيها المسلطتين على المرآة.. وقلت محاولاً الهدوء:

- "تفضلي بالجلوس.. إنها مجرد مرآة.. أوربما هي أكثر من هذا."

أخذت المرآة من يدي وراحت تتأملها بقرب قبل أن تمدها بخوف ناحيتي وهي تقول:

- "إنها مرآة إبليس.. ليس هناك سحرة لا يعرفونها.. منذ متى وهي لديك؟"

- "لدي منذ سنوات بعيدة على ما أظن.."

- "سنوات.. مستحيل! من أنت؟"

نظرت لها في تحفز وأنا أقول لها:

- "من الأفضل أن تهدئي وتخبريني ما تعرفينه عن هذه المرآة.."

- "ليس قبل أن تخبرني كيف هي لديك لسنوات وأنت كما أنت.."

ابتسمتُ لها وارتفعتْ ضحكتي وأنا أقول:

- "وهل يعني أنها لدي منذ سنوات أن يظهر لدي قرنان في رأسي كالشياطين."

عضت على شفتيها وهي تقول:

- "هذا أقل الأضرار.."

قلتُ وأنا أضع المرآة جانبًا:

- "هل من الممكن أن أفهم.."

راحت تنظر لمكان المرآة وكأنها تتوقع أن يخرج منها آلاف الشياطين لمهاجمتنا.. ولم يكن الأمر مهمًا لي لو خرجت الشياطين الآن.. فماذا يستفيدون من شخص في حكم الميت.. ففرقعت بأصابعي فانتبهت وقالت:

- "مؤكد أنك لم تنظر لهذه المرآة منذ فترة طويلة لا أستطيع تكذيبك. ولكني شبه متأكدة من ذلك.."

- "بالفعل المرآة لدي منذ زمن ولكنها كانت مخزنة."

هزت رأسها وهي تقول في توتر:

- "الأمر أكبر مني.. لا أستطيع أن أفعل لك فيه شيء.. سأخبرك بحقيقة هذه المرآة أوما أعرفه عنها.. هذه مرآة إبليس كما قلت لك.. تقول كتب السحر عنها أن إبليس قرر أن يتزوج من إنسية أحبها فتمثل لها كشاب جميل، واستطاع أن يتزوجها وظل يعاشرها لمدة خمسين يومًا وقد اتخذ لنفسه مسكنًا في أعالي الجبال.. ولكن الفتاة أحست بعد فترة قصيرة أنها حامل ولاحظت أن بطنها كبرت في شهرين أكثر من منظر امرأة على وشك الولادة.. وفي اليوم الواحد والستين جاءتها آلام الوضع.. الأمر كان غريبًا للزوجة ولم تعرف ما الذي قد تفعله وبدأت الآلام تتزايد بوحشية رهيبة.. وفي نهاية الأمر وضعت المرأة بنتين توأمتين بدون مساعدة أحد.. عندما نظرت لإحداهما عرفت من هو زوجها.. فقفزت المرأة بعد الولادة من فوق الجبل منتحرة.. وعندما عاد إبليس وجد زوجته ماتت ووجد البنتين اللتين وضعتهما. فحرص على رعايتهما.. وأخفاهما عن عين البشر..

وكبرت البنتان، المدهش وقتها أن فتاة منهما كانت إنسية بدرجة كاملة، بينما أختها الأخرى كانت شيطانية دميمة الوجه لها قرنان أعلى رأسها وناب بارزان في وضوح.. وكان اختلاف شكل الفتاتين مصدر الكثير من المشاجرات بينهما والغيرة حيث كانت تشعر الفتاة الشيطانية أنها مختلفة في الشكل عن أختها، حتى توصل إبليس إلى حل ما خصوصًا أن الفتاة ذات الملامح الشيطانية لم يكن لديها القدرة على التشكل في شكل آدمي.. فأعطى تلك المرآة الملعونة هدية لابنته ذات الملامح الشيطانية وحصن المرآة بتعاويذ خاصة حتى ترى الفتاة نفسها قريبة الشبه من أختها.. وهدأت المشاكل لفترة طويلة، وارتبطت الفتاة الشيطانية بالمرآة لدرجة الهوس ولم تسمح لأختها قط باستخدام مرآتها الأثيرة لديها مما أثار حفيظة الأخت الثانية.. فقررت في يوم والبنتان في مراحل المراهقة تقريبًا أن تسرق مرآة أختها وتخفيها عنها.. وبالفعل نجحت في سرقة المرآة وإخفائها في أحد الكهوف في الجبل أثناء رحلة لأبيهما إبليس في الأرض.. وجنت الفتاة الشيطانية لهذا الأمر.. وحدثت المشاجرة الأخيرة بينها وبين أختها القريبة الشبه بالبشر فقتلتها، بل امتصت دمائها لآخر قطرة في غل رهيب. وعندما عاد الأب إبليس من رحلته الأرضية وجد ما حدث.. وكانت الشيطانة اللعينة قد أخذها الحزن لما فعلته.. خصوصًا

عندما تحولت أختها لعظام بالية أمامها.. وعاقبها إبليس وقتها بحبسها في قاع جهنم مع بني جنسها، ولكنها استطاعت الفرار من الجحيم.. وعثرت على المرآة وقررت الهروب للمدينة حيث البشر.. ولكن البشر استقبلوها بخوف رهيب.. حتى استطاع كاهن ما بطريقة لم تصل إلينا أسرها لفترة، ثم قتلها وبقت المرآة في حوزته لفترة، لكنه جن بعدها وانتحر بعد أن قص الحكاية كاملة وحذر من المرآة وقال إنها هدية من الشيطان لا تنتقل من شخص لشخص إلاّ كهدية و بغير هذه الطريقة تصبح المرآة لعنة على من يقتنيها.. بل إن روح الشيطانة التي قتلها انتقلت للمرآة.. ولا طريقة للتخلص من المرآة بأية صورة إن كانت.. وظلت المرآة تنتقل من شخص لآخر لفترة حتى اختفت نهائيًا لفترة طويلة جدًا.. وقيل الكثير من الحكايات عن اختفائها.. لكن قصتها وصورتها والتعاويذ المحفورة على إطارها ظلت متناقلة في كتب السحر.."

قلت وأنا أحاول استيعاب هذه الحكاية العجيبة:

– وهل لدى المرآة القدرة لتجعل الشخص يقتل؟

داعبت هالة حاجبها بأصابعها وهي تقول بصوت مليء بالقلق:

– "بل أكثر من هذا، هذه المرآة لعنة أصابت كل من امتلكها من قبل.. كتب السحر أخبرتنا كثيرًا أن هذه المرآة لديها القدرة

على إبادة مدن كاملة.. وبرغم أن بعضنا من السحرة ظن لسنوات طويلة أنها مجرد خرافة.. حقيقة أنا لست متأكدة من شيء.. ولكن قل لي هل فعلتها حقًا وقتلت؟"

تجهم وجهي للحظات، فهزت هي رأسها وكأنها فهمت وأنا أحاول أن أبدو هادئًا أمامها برغم كل تلك العواصف الفكرية التي تعبث بي..

في تلك اللحظة دخل شريف يحمل أكواب الشاي، وهو يقول:

- "مطبخك يحتاج لنظافة.. آسف لتأخري المطبخ يعج بالفوضى.. أظنك تحتاج لصفية لتنظف الفيلا.. ما هذه الفوضى التي تعيش فيها؟"

قالت سارة وهي تقف:

- "لم يعد لدي ما أفعله من الأفضل أن ننصرف.."

تعلقت عيناي بها وهي تقوم وكان ذهني مشغولاً بتلك القصة التي حكتها وبرغم غرابة القصة ولكن كان فيها الكثير من الثغرات غير المنطقية. فكيف يتزوج شيطان بآدمية وينجب منها، ولماذا لم تكتسب الأخت الأخرى الطبيعة الشيطانية.. وهل يستطيع شيطان أن يهرب من الجحيم، إبليس نفسه كيف يستطيع حبس ابنته في

الجحيم، وهل هناك بشري قادر على قتل شيطان.. القصة أقرب لأسطورة غير حقيقية.. ربما اخترعتها سارة.. ولكن هل لسارة كل هذا الخيال الخصب.. مستحيل! فهي لم تر المرآة من قبل.. ربما اخترعت الأمر لتستفيد مني بمبلغ ما.. ولكنها لم تطلب أي مبلغ.

أومأت برأسي لشريف الذي وضع أكواب الشاي التي لم تمس على المنضدة واتجه لباب الفيلا بهدوء.. وعلى الباب وقفت سارة لثوان متطلعة لمكان المرآة قبل أن تقول:

- "حاول أن تجد طريقة للتخلص منها، من أجل مصلحتك وحياتك."

انصرف شريف وبصحبته سارة، لم يشغلني كلام سارة من أجل حياتي.. أية حياة؟!! ما هي إلاّ أيام معدودات..

ألقيت نظرة على القبو المغلق وشعرت بأعصابي تلتهب.. هل المرآة هي السبب؟!

حقًا شغلتني المرآة أكثر وأكثر وأنا أحملها صاعدًا بها إلى غرفتي..

ولم أكن أعرف وقتها أنه ينتظرني عالم آخر.. عالم لا أعرفه..

عالم من الجحيم.. عالم فيما وراء المرآة..

جحيم حقيقي..

الفصل الخامس

أصبحت علاقتي بهالة متوترة، تشعر أن هناك أشياء أخفيها عنها، وحدس الأنثى بداخلها يخبرها بكل هذا..

كان المحامي قد انتهى من كتابة العقود الجديدة وقرأها عليَّ، قبل أن تجلس هالة أمامه لتوقع العقود، وبعد هنيهة مرر العقود لي كي أمضيها، كانت هالة تتأمل وجهي وأنا أوقع العقود، برغم موافقتها على الأمر، ولكن شيئًا بداخلها يخبرها أنني أدبر أمرًا غير مفهوم، وفضولها يقتلها لمعرفته.. كنت طوال الوقت أجاهد حتى لا يبدو الألم على وجهي..

غادر المحامي الغرفة، فوقفتُ واتجهت للثلاجة الصغيرة في مكتبي أخرجت زجاجة مياه، ورحتُ أبلل ريقي الذي كان جافًا لدرجة غريبة.. كنت أشعر وكأنني لم أشرب المياه منذ سنوات.. المرض يتحكم فيَّ ويفرض إرادته عليَّ.

ظلت هالة تتابعني حتى وقفت أمام نافذة المكتب أتأمل الشارع في الأسفل مولياً لها ظهري وأنا أقول:

- "الآن.. أظن من حقي أن آخذ من شريكتي وصاحبة الشركة أجازة.."

جاءني صوتها وهي تقول:

- "أجازة لماذا؟ ما الجديد الذي تخطط له؟"

قلت وأنا أزفر:

- "الراحة.. أحتاج أجازة للراحة بعض الشيء. منذ سنوات وأنا لم أتغيب عن المكتب.. أظن من حقي أن أستريح قليلاً.."

لم تكن تفهم ولكنها استسلمت في النهاية وهي تقول:

- "برغم أنها ليست عادتك، ولكنني سأحاول أن أتغاضى عن الأمر والتفكير فيه، ليكن.. يومان كافيان.."

- "سأعود عندما أجد لدي القدرة على العمل كالسابق."

- "وما الذي يمنعك عن العمل كالسابق.. حقًا لا أفهمك هذه الأيام.. وكلما حاولت يقودني تفكيري إلى طريق مسدود.. ماذا يجري بالضبط؟"

- "ليس مهمًا الآن.. ستفهمين كل شيء في وقته والآن.. سأنصرف وأترك لك عملك الجديد كمديرة للشركة فحق الإدارة مكفول لك منذ تلك اللحظة.. مبارك."

أمسكت بيدي وأنا في طريقي للباب، كانت ثمة دموع تحبسها في مقلتيها وهي تقول:

- "خالد.. أرجوك.. أريد الفهم."

ربتت على يدها قبل أن أنسحب من الغرفة قائلاً:

- "قريبًا.."

كنت أشعر براحة كبيرة وأنا أغادر الشركة، هل لأنني وضعت كل أمور الشركة في يد هالة، بالطبع لم أكن أريد أن تنتهي الشركة بموتي، وهالة ستعرف كيف تديرها بحق، فهي منذ سنوات تلازمني كظلي في كل شيء، خبرتها في العمل أصبحت تقارب خبرتي لهذا كنت مطمئنًا لحد ما.. ألا ينتهي كل تاريخي لمجرد موتي فهذا شيء مهم ويجب التضحية من أجله.

كانت الساعة تقترب من السادسة مساءً، أخذت طريقي للفيلا، حقًا كنت أحتاج لمراجعة نفسي في كثير من الأشياء..

عندما فتحت باب الفيلا ودخلت شعرت بالتغير الحادث

في الداخل.. اللعنة.. صوتها يأتي من القبو.. لا بدّ أنها رأت كل شيء.. ما الذي أتى بها اليوم.. كانت صفية تلك السيدة الأربعينية التي أعهد لها بنظافة الفيلا، ولكنها لم تأت قط طوعًا، نبهت عليها أن علي أن أتصل بها لتأتي، كيف نسيت أن مفتاح الفيلا معها منذ سنوات، القبو.. كيف لم يغشى عليها ولم تصرخ.. مؤكد شاهدت الحفر، هل عثرت على الجثة.. الدماء التي تفرق القبو.. مستحيل.. كنت أهبط مسرعًا في اتجاه القبو وأنا أنادي عليها وبعد وهلة وجدتها تقف داخل القبو وهي تعيد ترتيبه ورفع أشياء على أشياء تنبهت لنزولي فقالت:

- "دقائق قليلة وسوف أنتهي.. حمد لله على سلامتك.."

- "ما الذي أتى بك لهنا؟"

ظهرت الدهشة على وجهها وهي تقول:

- كلمني الأستاذ شريف وقال لي إن عليّ أن أنظف الفيلا لأنني نسيت الاتصال بها منذ فترة والفيلا تحتاج لحملة تنظيف.."

لم أنتبه للوهلة الأولى أنه لا دماء في أي مكان في القبو، بل فقط الكثير من الحاجيات المخزنة، فقد كنت مهتمًا فقط بوجودها بالداخل، قبل أن تقول صفية بلا مبالاة:

- "ولكن قل لي يا سيدي، ما هذا الحفر في أرضية القبو، هل هناك ماسورة مياه ضربت.. السباك شخص غير أمين كان عليه أن يردم الحفر ويعيد الأرضية كما كانت.."

أشرت لها أن تصعد لأعلى وتترك كل شيء بيدها ولو في استطاعتها أن تعد لي فنجان قهوة.. فهزتْ رأسها وهي تنفض ملابسها بيدها وتصعد..

كان الحفر في أرضية القبو ظاهرًا بالفعل وعميقًا بدرجة كافية لإخفاء جثة، تطلعت داخل الحفرة ولكن لم يكن ثمة شيء مخيف، تراب فقط ولا شيء آخر..

جاءني صوت صفية بعد لحظات من أعلى أن القهوة جاهزة على المائدة وستبرد إذ لم أصعد لأشربها.. اللعنة! أين اختفت جثة المرأة.. هل أخطأت مكان الحفر، مستحيل إنه المكان بالضبط الذي دفن فيه أبي عشيقته بعد أن قتلتها أمي.. صفية متغيرة؟! هل رأت الجثة بالفعل وأخفتها لتهددني فيما بعد.. تبًا!

كلاّ صفية منذ سنوات وقبل موت أمي وهي تأتي إلى الفيلا لتنظيفها، مفاتيح الفيلا معها منذ زمن، لو كانت تريد أي شيء مني أومن الفيلا لأخذته منذ زمن، ولم أكن أستطيع أن أثبت عليها شيئًا.. كلاّ صفية نوع خاص من الإخلاص.. صوتها يأتي مرة أخرى مناديًا عليّ.. أصعد فأجدها تواصل عملها في البهو..

إنني أعيش وحدي، سم بسيط في فنجان قهوتي وتستولي صفية على كل شيء تريده من الداخل.. المرض يعبث بعقلي.. أمد يدي وأنا أرشف القهوة، وعيناي على صفية التي وقفت عن التنظيف وهي تقول:

- "سيّدي.. الفيلا تحتاج لأكثر من يوم للتنظيف. ولقد تأخرت كثيرًا، فهل تسمح لي أن أكمل تنظيفها وتنظيف الدور العلوي غدًا.."

وجدت نفسي أهتف فيها بصوت قوي بلا مبرر:

- كلاّ.. لا تأتي إلاّ لو اتصلت بك أنا فقط وليس شخص آخر.."

نظرت بحيرة غير فاهمة فكثيرًا ما كلفت هالة أوشريف بالاتصال بها من قبل حتى لا أنسى.. ولكنني هدأت من حدة صوتي وأنا أضع في يدها مبلغًا يفوق كل مرة عدة مرات:

- "في الغالب سأكون مسافرًا الفترة القادمة، لذا عندما أعود سوف أتصل بنفسي.. هل فهمت.. بنفسي."

هزت رأسها وهي تضع المبلغ في حقيبتها على المائدة وتتجه إلى الباب لتخرج، زفرت في ارتياح بعد خروجها.. للحظات فكرت إنه كان عليّ أن آخذ مفاتيح الفيلا منها.. لكنني خفت أن تشك في شيء وتكلم هالة فتزيد الأمور سوءًا..

رشفت المتبقي من فنجان القهوة وأنا أتابع خروج صفية من نافذة المطبخ.. كان وضع المطبخ الآن في أحسن صورة. من الجلي أن صفية بذلت الكثير من الوقت في تنظيفه.

خرجت إلى خارج الفيلا.. أغلقت الباب الخارجي بإحكام.. وعدت إلى الداخل مسرعًا في طريقي إلى القبو..

الهدوء يرين على كل شيء.. تطلعت للقبو للحظات قبل أن أتجه لمكان الحفر لأنظر بداخله مرة أخرى.. لا شيء بالفعل.. لا وجود لجثة.. لابدّ إذن أن كل ما رأيته كان وهمًا.. لماذا شعرت وكأن هناك من يراقبني..

تلفت حولي فلم أرَ أي شخص.. ولكن الشعور الذي راح يسيطر عليّ أن ثمة شخص ما يراقبني في تلك اللحظة.. ناديت بصوت عال وأنا أتحرك في القبو، لم أجد سوى صدى لصوتي مكتوم..

تأملت الأشياء المتراصة حولي، قبل أن أقرر الصعود.. عندما كنت أصعد سلم القبو شعرت مرة أخرى بأن هناك أحدًا خلفي.. أدرت رأسي للوراء بسرعة لعلي ألمح أي شيء ولكن لا جديد.. هدوء قاتل لا يقطعه سوى خطواتي على السلم.. رحت أهزّ رأسي وأنا أطرد كل مخاوفي جانبًا..

قررت أن أقضي باقي اليوم في الفرجة على التلفاز، ربما

أنسى ما يحدث لي، ولكنني بعد ساعات قضيتها أمام شاشة التلفاز أدركت أنني لم أتابع أي فيلم حقًا، بل كنت أتابع أفكاري المجنونة التي أخذت تنمو بداخل عقلي..

المرآة على بعد أمتار من يدي، الساعة قاربت الواحدة صباحًا، أتمدد على الفراش بعد أن تناولت العديد من المسكنات.. وفجأة شعرت وكأن الدنيا تدور من حولي..

ظلام غريب غرقت فيه، ظلام تشعر بأنه يحمل لونًا آخر غير الأسود..

نظرت تجاه المرآة وأنا أحاول أن أعدل جسدي على المخدة، شعرت وكأن هناك بخارًا أخضر ينتشر حول المرآة.. ضغطت على زر النور بجانبي فلم يتغير الوضع، دخان أخضر كثيف يتشكل حولي ويملأ المكان، شعرت وكأنه يكون ظلاً لشبح.. تبًا!

ما كل هذه الهلاوس؟!!

فجأة اختفت الغرفة من حولي، فتحت عيني بقوة لا أرى سوى ذاك الدخان الأخضر الذي تحول لضباب حولي.. راح الضباب بعد فترة ينقشع من حولي.. اللعنة!

إنه صوت أمي مرة أخرى.. صرخت توقفي لا تفعلي بي هذا.. صوت أمي عاليًا.. إنها تتشاجر مع أبي.. تخبره أنها تريد

ترك الفيلا وبيعها إنها تشعر بشبحها حولها في كل مكان، صوت أبي يرفض بشدة يقول قد ينكشف الأمر.. تخبره أن عليه أن يحمل الباقي منها خارج الفيلا، يهدد أبي ويتوعد أن من الأفضل أن تصمت.. الشجار يتزايد والتهديدات تتزايد.. وران صمت لفترة قبل أن يصل لمسامعي صوت أبي بعد هنيهة مهددًا أنه سيترك لها البيت لتتصرف فيه وفق هوائها..

إنه يقول لولا خالد لكانت حياتهما معًا انتهت منذ مدة.. سمعت صوت باب الفيلا يفتح ويغلق.. أحاول أن أقف متلمسًا المكان حولي.. الإضاءة قليلة جدًا، ومع اتساع عينيّ وذهولي كانت الصور مهزوزة.. بعد فترة وجدت أمي أمامي.. زعقت فيها.. إنها لا تسمعني.. كانت أصغر سنًا.. لا أعرف حقًا كيف كنت أسير بجوارها وهي تقطع الغرفة جيئة وذهابًا في عصبية بالغة..

تغادر أمي الغرفة، أجد نفسي مجبرًا لمتابعتها نزلت إلى البهو ومنها إلى القبو.. ما الذي ترغب أن تفعله..

وجدت المكان الذي دفن به أبي جثة عشيقته محفورًا.. وأمي تقف على رأس الحفرة.. اللعنة! كيف جرؤ أبي على الاعتراف لها بمكان جثة العشيقة..

عينا أمي تلمعان في غموض، وأنا أحاول النظر للحفرة أسفل قدميها..

بالفعل كان هناك هيكل عظمي يقبع في الحفرة وقد ذاب اللحم عنه نهائيًا، من الجليّ أنه قد مرت سنوات قبل أن يكشف أبي لأمي مكان جثة العشيقة..

وجدت أمي تقترب صندوقًا أسود للحفرة وهي تقفز بداخلها وتخرج حاملة الهيكل والعظام وما تبقى منه لتضعه بصعوبة داخل الصندوق الأسود.. ما الذي سوف تفعله أمي الآن.. لم أعرف حقًا..

سمعتها تصرخ في الهيكل وكأنها تحدث شخصًا حيًا.. أن عليها أن تغادر الفيلا وإلاّ أشعلت النار فيما تبقى من الجثة.. لا أعرف مع من تتحدث أمي بالضبط.. ولكني شعرت بالقبو يرتج بعنف والهواء يتخلخل من حولي ويصدر صوت كفرقعة مكتومة.. لشوانٍ ظننت أنني رأيت الحفرة تشتعل بالنيران قبل أن تخبو النيران نهائيًا..

أغلقت أمي الصندوق بحرص وبلا خوف وكأنها اعتادت الأمر.. وأخذت تجره على أرضية القبو.. قبل أن تمسك يده بعنف قرب السلالم وتسحبه لأعلى درجة بدرجة، ويصل إلى أذني صوت العظام وهي تتخبط بداخل الصندوق..

كنت مجبرًا حتى اللحظة في مشاهدة ما يجري.. كانت أمي تجر الصندوق في هذه اللحظة إلى غرفة خاصة بها بجوار السلم، فتحتها ودخلت..

كانت أنفاسها مضطربة بقوة، وصدرها يعلو ويهبط في عنف.. ألقت بنفسها على كرسي بالغرفة لتلتقط أنفاسها، بعد هنيهة.. كانت تمد منضدة أمامها.. وتخرج الهيكل من مكانه لتضعه على المنضدة.. لم أكن أعرف فيما تفكر أمي.. ولكن بعد لحظة وجدتها تأتي بأدواتها التي تمارس بها النحت.. وبدأت أمي في أغرب شيء كنت أتصوره، كانت تنحت الهيكل العظمي.. ظلت عيناي مسلطتان على يديها وأصابعها وهي تواصل العمل بمنتهى الدقة والاهتمام لساعات طويلة، فالزمن هنا مختلف بالنسبة لي.. بعد عدة أيام قضتهم أمي في النحت في غرفتها الخاصة لم يتبق شيء من الهيكل العظمي للعشيقة سوى رماد أبيض كالبودرة وقطعة من عظمة الساق احتفظت بها لشيء ما، بينما تحوّل الهيكل نفسه للعديد من السلاسل والأقراط.. سحقًا!!

إنني أتذكر الآن أين رأيت مثل هذه السلاسل والأقراط.. أتذكر عيد ميلادي السابع تقريبًا وأمي توزع هداياها من المنحوتات على صديقاتها.. لقد خرجت الجثة بالفعل من الفيلا، لكنها خرجت في هيئة عقود وأقراط زينت أعناق وآذان أصدقاء أمي..

إذن بالفعل أمي قاتلة وأبي مجرم.. انطلقت ضحكتي عالية وأنا أتصور حيرة أبي في معرفة أين اختفت جثة عشيقته مؤكد هي لم تخبره لتزيد من عقابها له.. الأغرب بحق كيف استطاعت

أمي أن تتعامل مع صديقة ترتدي جزءًا من جثة وكيف كانت نظرات أبي وأمي تهدي الهدايا لأصدقائها.. إنني أتذكر نظراته أنه حقًا لم يكن يدري.. هذا مؤكد.. كم صدر صديقة لأمي حمل عقدًا من جثة عشيقة أبي.. كلاّ لا أريد التذكر.. لا أريد.. اللعنة على تلك المرآة، هي من فتحت ذاك الجحيم أمامي..

كانت أمي في تلك اللحظة تلم تحفها الجديدة لتضعهم بحرص في صندوق خلفها وعلى شفتيها ارتسمت ابتسامة شيطانية..

في تلك اللحظة شعرت بروحي وكأنها تنسحب مني، وراح الضباب الأخضر يعود من جديد، وراحت أنفاسي تضطرب بقوة.. وشعرت أنني أغرق من جديد في بئر بلا نهاية..

وعندما أفقت بعد فترة لا أعرف مقدارها، كنت في فراشي ألهث بعنف وأنا أهزّ رأسي رافضًا كل ما يحدث وخيل إلي أن هناك شخصًا غيري يراقبني في الغرفة..

ربما شبح شخص قتلته أمي قبل مولدي..

فتحت عيني محدقًا بقوة وأنا أضغط زر النور بجانبي..

لينتشر الضوء في الغرفة.. وأجد نفسي وحيدًا..

والجنون يضرب عقلي بلا هوادة.

❖❖❖

الفصل السادس

ارتفع جرس الفيلا الخارجي في إلحاح، كنت قد فقدت الوعي منذ فترة لا أدريها..

نظرت من وراء نافذة المطبخ، إنه يعود مرة أخرى..

شريف يجب أن تتصرف أرجوك ألاّ تعود، رحت أتابع تحركاته أمام باب الفيلا وإصراره وهو يلقي نظرات قلقة على المكان.. أسبوعان مرا ولم أرَ شريف فيها ولم يرني..

آخر مكالمة طلبت منه أن يبتعد عني هذه الأيام، ولكنه كان يصر على الاتصال يوميًا.. اللعنة ابتعد يا شريف.. إنه قرر فجأة أن يقفز للداخل.. ما هذا التهور الذي يفعله.. يده على هاتفه المحمول يواصل الاتصال بي.. يقترب من الباب الداخلي سمع رنين الهاتف.. أخذ يدق على باب الفيلا بإصرار أكثر وهو يقول:

- "افتح يا خالد.. أعلم أنك بالداخل.. افتح"

وجدت نفسي أزعق فيه قائلاً:

- "اتركني أرجوك.. عد" قبل أن يمسك سوء"

- لا شيء يخيفني هنا .. افتح.. أنت الذي تخيفني بتصرفاتك.. افتح الباب."

- كلاّ.. اذهب أرجوك.. أنت لا تعلم أي شيء."

جاءني صوته هادئًا من وراء الباب وهو يقول:

- "هالة قلقة عليك للغاية وتكاد تجن من تصرفاتك.. افتح ودعنا نتكلم قليلاً.. وأعدك سأنصرف بعدها.. لن أغادر دون رؤيتك حتى لو جلست أمام الباب أسبوعًا."

رحت أتلفت حولي بترقب، أشعر بهم في كل مكان، إنهم يراقبون تصرفاتي، قد يؤذون شريف، كلاّ، يجب ألاّ أطاوعه.. سيمل وينصرف.. يكفي أنه عرف أنني ما زلت حيًا، ما الذي يريده بالضبط.. ولكنه واصل صياحه عليّ أن أفتح الباب وإلاّ اتصل بالشرطة.. الشرطة وماذا في يدهم ليفعلونه لي.. سيدخلون بيتي غصبًا عني.. ما هذا الأحمق؟! ولكن قلقًا ما راح ينمو بداخلي، مما جعلني أفتح الباب وأنا أنظر له محدقًا بعينين متسعتين مذهولتين، تأملني لوهلة قبل أن يصرخ:

- "ما هذا؟ ما الذي تفعله بنفسك؟!"

كانت ذقني قد طالت بدرجة كبيرة وملابسي ملوثة بالتراب والطباشير، ويظهر عليّ أنني لم أتناول الطعام منذ أيام.. تطلع شريف لي وهو يزيحني عن طريقه ليدخل إلى البهو واتسعت عيناه وهو يرى البهو والذي كانت معظم حوائطه الداخلية قد أصبحت بها فجوات عجيبة وكأن هناك عشرات المعاول تناوبت الهدم فيه، بينما كان هناك دائرة كبيرة مرسومة على الأرض وعشرات الشموع مشتعلة وكتابات غريبة على الأرض.. بينما هناك العديد من المرايا الكبيرة في دائرة ضخمة تلف المكان.. وعشرات من الكتب الصفراء عجيبة الأوراق مرمية على الأرض..

راحت عيناه تجوبان المكان بقلق عاصف وهو يقول:

- "ما كل هذا؟ هل جننت؟!!"

- "أنت لا تفهم أي شيء.. أرجوك غادر الفيلا حالاً، قد يظهرون في أي وقت."

- "من الذين سيظهرون.. خالد أنت تحتاج لطبيب نفسي."

الأحمق لا يفهم أي شيء، يظنني قد جننت، يجب أن ينصرف الآن.. أمسكت يده بشدة وأنا أشده ناحية باب الفيلا:

- "هيا.. هيا غادر الآن.. تعال غدًا صباحًا، سأفتح لك، صدقني.. الآن أنت في خطر.. أرجوك."

- "قل لي شيئًا واحدًا وسأنصرف.. ما الذي تفعله وما هذه الكتب العجيبة والمرايا الكثيرة؟"

تلفت حولي وعيناي تدوران في محجريهما قائلاً:

- "السحر.. كتب سحر.. لأصرفهم."

- "اللعنة! تصرف من؟!

- "صدقني الأمر أكبر منا.. والآن انصرف.. انصرف."

كان صوتي مرتفعًا لدرجة أرعبت شريف حقًا فتراجع للوراء وهو يقول: بصوت حاول أن يجعله هادئًا ولكنه جاء مرتجفًا:

- "سوف آتي غدًا.. وستفتح لي الباب."

دفعته بيدي إلى باب الفيلا وأنا أردد نعم مؤكد، تنفست الصعداء بعد أن تأكدت من خروج شريف من الفيلا نهائيًا.. أغلقت الباب من الداخل بإحكام وأنا أهمس لنفسي:

- "سأفتح لك يا صديقي مؤكد، فقط لو كنت حيًا وقتها."

وراحت أحداث الأسبوعين الأخيرين تعود إلى ذهني بصورة مرعبة..

أسبوعان كانا من الجحيم.. وأي جحيم..

وعندما نظرت في المرايا حولي.. رأيتهم.. بلى إنهم يظهرون..

عليّ أن أنتصر.. أوتكون نهايتي.. أسمع الأصوات تتصاعد في أذني وصرخات تكاد تحطم أذني.. صرخات تشعر أنها تأتي من الجحيم.

جحيم سيبتلعني في النهاية.. لو ضعفت لوهلة..

ورحت أحدق في صوري المعكوسة في المرايا حولي..

وتلك المرآة الشيطانية التي بدأ من عندها كل شيء..

ولوهلة خيل لنفسي أنني أرى عشرات مني داخل المرايا وكل منهم غير الآخر.. ملابس مختلفة وسن مختلف.. وجحيم مختلف..

ورأيتهم حولي في كل المرايا يراقبوني وعلى شفتيهم ابتسامة ذئاب.. ابتسامة دموية..

❖❖❖

منذ أسبوعين، آنذاك راح ضوء غريب يضرب عيني في غرفتي، وأخذت أحدق خلفي وفي تلك المرآة الشيطانية التي بين يدي، قبل أن أشعر مرة أخرى بأن كل شيء يهتز من حولي وضباب غريب ينتشر في جو الغرفة، أردت أن أرمي المرآة من يدي وأنجو بنفسي من هذه الهلاوس المجنونة، لكن شيئًا أقوى مني كان يسحبني بقوة، يسحبني لدرجة شككت وقتها أنني أدخل إلى عالم المرآة، بل أشاهد ما خلف هذا العالم من جنون.

راح الضباب ينقشع من الغرفة، وسمعت صوت أنفاسي وهي تتردد في صدري، إنني ما زلت حيًا وهذا شيء قد يمثل فائدة حتى الآن.. لا وجود للمرآة في الغرفة، بل لا وجود لأثاث غرفتي الذي أعرفه جيدًا.. ما الذي تريد أن تريني إياه المرآة أكثر مما رأيت..

هذا الشيطان الذي يسيطر عليها أصبح يسيطر عليّ وعلى عقلي أيضًا.. وقفت فلم أشعر بأي ثقل لجسدي كنت حرًا كالريشة، بل قد لا يكون جسدي حقًا هو من عبر هذا الشيء خارقًا حدود الزمن والمكان، لابدّ أنه شيء أقرب للروح منه للجسد.. كانت الفيلا هادئة للغاية.. أسمع صوت أمي زاعقًا في أحد الخدم، الذي يهب مفزوعًا ويجري ليفتح باب الفيلا ويساعد أمي في حمل صندوق أسود ضخم مغلق بقفل من حقيبة سيارتها،

وبعد ثوان تترك أمي حمل الصندوق للخادم وهي تشير له أن يضعه في غرفة النحت الخاصة بها، أرى الخادم يضع الصندوق بالداخل، ثم أسمع صوت أمي وهي تدور بالمفتاح في قفل الباب، كنت قد سبقتها في الدخول.. الصندوق على الأرض لا أعلم ما به، بينما كانت أمي ترتدي جاكتًا خاصًا بها أثناء النحت.. أخرجت مفتاحًا من جيبها، وفتحت الصندوق، وارتدت للوراء وأنا أحملق فيما أراه أمامي في ذهول، وشعرتُ وكأن نبضي يتسارع بشدة ودقات قلبي ترتفع هذا لو كنت أملك حقًا جسدًا في تلك اللحظة لابدّ أنه الإحساس الذي يشمل جسدي في الزمن الحقيقي.. كان ما أمامي مفزعًا بحق.. هيكل عظمي كامل بلا رأس أمامي.. سلاميات الأصابع، والعظام، عظمة الحوض، وعظام الساقين.. بعض الأربطة التي مازالت تمسك العظام ببعضها، لا بدّ أنه هيكل لجثة لم يمض عليها الكثير، إنني لا أفهم حقًا، لقد رأيت من قبل الهيكل العظمي لجثة المشيقة وأمي تفعل به ما فعلت.. فلمن يكون هذا الهيكل الجديد.. كان الهيكل ممددًا الآن على منضدة النحت التي بدت قريبة لمناضد التشريح، وأخذت أمي تمارس عملها في شغف وعيناها تلمعان في قوة، ما الذي يحدث..

بعد فترة رأيتها تفتح أدراج دولاب خلفي وتخزن به أجزاءً من الهيكل بعد أن نشرتها بمنشار، ثم عادت لتمارس عملها بشغف،

وبعد مدة كان بين يديها تحفة فنية منحوتة من عظام بشرية، وضعتها في دولاب زجاجي خلفها، إنني أتابع ما تفعله وأنا على وشك الجنون..

فجأة شعرت بالضباب يلفني مرة أخرى، اللعنة! ما الذي تريده حقًا أيها الشيطان اللعين..

أخذ الموقف يتكرر أمامي بصورة سريعة، الصندوق الأسود والخادم يحمله وأمي تغلق الغرفة، وهيكل عظمي آخر أصغر حجمًا، ثم تحفة أخرى توضع في الدولاب الزجاجي خلفها وعظام أخرى تتراكم في أدراج الدولاب لتعمل عليها في وقت لاحق، لا أعرف كم صندوق أسود رأيته يدخل الفيلا، وكم هيكل عظمي تمدد أمامي على منضدة النحت والزمن يجري بي وكأني أشاهد فيلمًا سينمائيًا بصورة مسرعة..

أية هواية مجنونة استهوت أمي، كيف كانت تفعلها، من أين كانت تأتي بهذه الهياكل كلها..

وكأن ذلك الشيطان قد قرأ عقلي، فأخذت الصور تتغير من حولي بسرعة، بل اختفت الفيلا نهائيًا، سيارة أمي وأنا خلفها تقطع طريقًا مقفرًا في اتجاه ما، أجلس في الكرسي الخلفي، تتلفت هي حولها، في النهاية تقف بجوار كشك صغير، الليل يلف كل شيء، من الكشك يخرج لها رجل قصير مشوه الوجه وكأن

أحدهم قد ألقى عليه مادة كاوية، يبتسم في وجه أمي ابتسامة بشعة، تمد أمي يدها في درج السيارة وتخرج مبلغًا تعطيه له.. يطلب منها الرجل أن تدخل خلفه بالسيارة، بينما يسبقها هو على قدميه، إننا في المقابر، شواهد القبور في كل مكان، صوت الرجل وهو يقول لأمي بعد أن وقف أمام قبر ما لو كانت ترغب في جثة طازجة فهو مستعد، تقول له لا، فيبتسم مرة أخرى تلك الابتسامة المقيتة البشعة قبل أن يشير إلى قبر آخر، يبدأ الرجل في فتح باب القبر، قبل أن يدلف بجسده القصير للداخل ويعود بعد مدة يسيرة وهو يحمل هيكلاً عظميًا، تفتح أمي حقيبة سيارتها ثم تفتح الصندوق الخشبي الأسود، فيضع الرجل الهيكل بداخله وهو ما يزال مبتسمًا قائلاً لها عندما تحتاج لغيره فهو في خدمتها.. اللعنة! أمي.. أمي كانت تقوم بنبش القبور.. أي هوس هذا الذي أصابها أهو هوس ما فعلته بالعشيقة أم روح شريرة جذبتها لهذه الأفعال الشيطانية..

السيارة تعود للفيلا.. الصندوق الأسود يدخل يحمله الخادم لغرفة النحت، بينما أنا أقف متسمرًا في جنون، والصور تتتابع أمامي بلا توقف .وشواهد قبور عديدة تفتح؛ لتخرج أحشاءها لتستقر في النهاية على منضدة نحت شيطانية تقف بجوارها أمي، وعيناها تلمعان في بريق جنون.

❖❖❖

بعد أن أفقت من هذا الكابوس الرهيب لم أجد أمامي إلاّ سارة هي من سوف تساعدني في تخطي هذه الأمور الرهيبة، في البداية رفضت التدخل بشدة، ولكن عندما لوحت لها بمبلغ لن تستطيع رفضه وافقت على مضض ولكنها قالت إنها قد تستعين بآخرين لم أبدِ تمنعًا وعرضت زيادة المبلغ ومضاعفته..

الكوابيس راحت تتزايد.. جسديًا شعرت بعد كل كابوس أن حالتي الصحية تتحسن وأن المرآة بالفعل تشفي جسدي من المرض ولكنها تسيطر على روحي.. دخلت غرفة أمي الخاصة بالنحت والتي لم أكن قد دخلتها لسنوات مضت.. وجدت دولاب التحف الخاص بها، تطلعت للمنحوتات بخوف.. أكل هذه التحف نحتت من عظام بشرية، أي قلب كانت تحمله أمي.. كان عليّ أن أتخلص من كل هذه التحف العجيبة..

كان عليّ أن أخبر سارة بكل شيء، ولكن هل تصدقني، جاء لقاؤنا الثاني في بيت صديق لها يعمل بالسحر، حدثتها عن الأمر كله والكوابيس وما يحدث لي ولكني أخفيت بالطبع أمر فتاة البار فلا أريد أن تظن للحظة أنني قاتل، الحدث كله لبس، وليس هناك ما يثبت عليّ أنني فعلتها.. مستحيل!

قالت سارة إن الأمر ليس بيدها، وليس هناك غيري ليحكم

في الموضوع، هي لا تريد دخول الفيلا مرة أخرى.. قالت أشياء عن أنها قد تصدق الآن أن الفيلا مسكونة بالأشباح ولكن أي شبح بالضبط هل شبح العشيقة التي قتلتها أمي، أم أشباح الهياكل العظمية التي جلبتها أمي مرارًا للبيت.. كل شيء في حياتي كان يتحطم، كان عليّ أن أختار..

كلمت عبير في الخارج ولكن رقمها لا يعطيني أي شيء هل تخلصت منه، كلمت فؤاد نفس الحدث يتكرر وكأن رقمه لا وجود له من قبل، هل حدث لهما شيء.. الأمر يزيدني خوفًا وقلقًا، أحاول عن طريق البريد الإلكتروني، رسائل مستمرة مني لعبير وفؤاد ولكن لا أتلقى أي رد.. ما الذي يتم من حولي بالضبط..

كان على سارة أن تعرفني على أكثر من شخص، بعضهم مهتم بالجن والشياطين وآخرون مهتمون بالسحر وتأثيره المادي وكشف العوالم، لماذا أرى أصدقائها أقرب لعلماء الفيزياء من المشعوذين، قالت إن تاريخهم في السحر يعتمد على الحقائق فقط، لا مجال للشعوذة في الأمر.. كان عليّ أن أحكي قصتي عدة مرات، وكان عليهم أن يعلموني أجزاء مما يعرفونه من السحر وفيما يخص المرآة، والكل أكد أن المرآة نفسها هي من اختارتني، ربما ما كانت تفعله أمي في الماضي هو ما جاء بالمرآة في طريقي.. كتب

كثيرة صفراء قديمة دخلت بيتي، اشتريتها من مكتبات مجهولة وبعضها هدية منهم، كانت مباحثاتهم تتم أمامي كل يوم تقريبًا، وكانوا يتصلون بأصدقاء لهم في الخارج للمشورة، والكوابيس ظلت تطاردني طوال الوقت حتى شعرت أنني أصبحت أرى الكوابيس وأنا مستيقظ، أرى أمي وهي تمسك هيكلاً عظميًا وتحفر بأدواتها الدقيقة فيها، أرى أنها تبدأ في تكوين لوحة ما مرتبة بالنحت في العظام وكان ينتهي الكابوس دومًا وكأنها تحمل قطعًا من البازل الصغير وتجمعها حتى تتكون صورة لوجه، دائمًا الوجه هو وجهي أنا.. لم أتخلص من الكوابيس ولم أتخلص من المرآة.. منذ أسبوع تقريبًا جاء رد عجيب من أحد السحرة الذين يستخدمون السحر الأسود في عالمه نقلت لي سارة الرد وهي تقول آنذاك:

- "صديقي اكتشف أمرًا قد يفيدك.. أول شيء لا بدّ أن تجد الرابط بين ظهور المرآة في حياتك والكوابيس التي تلزمك.. ثاني أمر عليك أن تتخلص من كل التحف التي نحتتها أمك، حتى تلك الهدايا التي أهدتها أمك لأصدقائها يجب عليك أن تستعيدها وتعيد هذه الأشياء لمكانها الطبيعي.. القبور.. لا تحتفظ بأية قطعة من عظام بشرية قبل أن تجرب تلك التجربة الأخيرة التي قد تخلصك من المرآة وتبعد عنك الكوابيس.. كل الإرشادات ستجدها في كتب السحر التي اشتريتها أنت بمعرفتنا سنحدد لك

أين بالضبط فيها وعليك أن تشتري العديد من المرايا.. وعندما تبدأ الجولة الأخيرة مع المرآة ستحاول تبعًا لخطة مرسومة وبالطريقة التي سنعلمها لك أن نخرج تلك الشيطانة التي تسكن المرآة لتغادرها إلى مرايا أخرى.. وعندما تخرج وتجد أمامها الكثير من المرايا سيصيبها الخوف ولن تستطيع العودة للمرآة بل ستحاول الدخول إلى كل المرايا لتختار مرآة جديدة تسكنها ولكنها ستفقد أهم شيء التعويذة المكتوبة على إطار المرآة وقتها عليك أن تحطم كل المرايا تباعًا بطريقة دائرية سنصفها لك ولكن قبلها عليك أن تحطم المرآة الأساسية.. لحظات فقط قد تفرق بينك وبين الموت إما أن تعود تلك الشيطانة إلى الجحيم وإلا ستأخذك معها إلى الجحيم.. عليك أن تفكر جيدًا في الأمر.. إنها حياتك أنت أوموتك أنت.."

قلت حينئذ وقلبي ينتفض في خوف:

- "وماذا لو لم أستطع أوفشلت قبل النهاية.."

أجابت سارة في برود عجيب:

- "وقتها ستنتقم تلك الشيطانة من كل أصدقائك وستبدأ بأقربهم إلى قلبك.. الحل أن تتعلم الكره في الفترة المقبلة تخلص من أصدقائك ومحبينك اكرههم بحق.. اكره الحياة نفسها بكل ما

فيها.. أي شخص مرتبط قلبك به سيموت إذا ضعفت أنت أمامها للحظة.. هل تفهم؟"

بدأ صدري يغلي من الغضب، ما كل هذه الشرور التي تتحكم في حياتي الآن.. أية لعنة عليّ أن أقهرها، هالة وعبير وفؤاد وشريف والمكتب وأصدقائي كل شيء قد يكون في خطر...

عندما عدت للبيت يومها كنت محملاً بالكثير من كتب السحر المصفرة الأوراق بفعل طول الزمن الذي مر على كتابتها، ومفكرة صغيرة تحمل نقشًا ورسومات خاصة، اتفقت قبل وصولي للفيلا مع محل كبير لجلب العديد من المرايا للفيلا، وظللتُ منتظر العربة حتى قرب منتصف الليل، بدأت بعد خروج العاملان اللذان نقلا المرايا في فك الكراتين الملفوف بها المرايا وتجهيزها، وكان عليّ أن أؤجل خطوة حتى أعيد التحف المصنوعة من الهياكل العظمية للمقابر.. أشعر بأن هناك من يراقبني ويتابع كل أفعالي، رميت هذا الهاجس وراء ظهري وأنا أخرج نوتة خاصة بمعارف أمي وأصدقائها، وكان عليّ أن أحدد من أين أبدأ..

خلال ثلاثة أيام واصلت بحثي عن كل التحف البشرية التي صنعتها أمي من الهياكل العظمية في بيوت مختلفة، مررت على كل أصدقائها ومعارفها واصلاً ليلي بنهاري، النوم صار بعيداً عن عيوني حقًا، وأصبح إحدى الأمنيات، كان مبرري دومًا لأصدقائها

أنني أجهز متحفًا خاصًا لكل منحوتات أمي وأنني سأرد لهم التحف بعد المتحف، لم ألق أي صعوبة في جمع هذه الأشياء العجيبة من العقود والسلاسل والتحف، وأخليت دولاب تحف أمي من كل ما به، كان الوقت عصيبًا وعليّ أن أتجه للخطوة الثانية وهي دفن هذه الأشياء في المقابر، سيارتي تركن بجوار المقابر ليلاً، الظلام يحيط بكل شيء، النقود تفتح السبيل لي للوصول إلى مقبرة خالية، أفرغ شحنة سيارتي بكل ما بها من تحف عظمية، الرجل الذي يساعدني في الأمر من المقابر لا يفهم ما السبب فيما أفعله ولكن ما وضعته في يده من مبلغ كان يجعله صامتًا وغير مبال، انتهيت أمس من دفن كل هذه الأشياء العجيبة وعدت للفيلا وأنا بين الوعي واللاوعي، كنت أحتاج لخطوة أخيرة حتى أنهي كل شيء.. الآن أنا جاهز لرسم تلك الدائرة والتعاويذ على أرضية البهو، المرايا في وضعها الذي رسمته لي سارة، الشموع مضاءة، والكهرباء قد فصلتها بالكامل عن الفيلا، التجربة على وشك أن تتم، عليّ أن أهدأ وأتماسك في تلك اللحظة، أجريت اتصالاً بهالة التي أخذت تعاتبني كثيرًا عما أفعله بها، قلت لها إنني قريبًا سأعود كما كنت، حاولتُ الاتصال مرات ومرات بعبير وفؤاد وكل مرة يأتيني رد أن الرقم خطأ أوغير موجود بالخدمة... سأجدهما عندما أنتهي مما أنا فيه..

تحذيرات سارة ما زالت تضرب عقلي بشدة.. أي خطأ لن يشملني وحدي بل كل أصدقائي أيضًا، لذا كنت شديد الحرص وأنا أتمم على كل شيء بمنتهى الدقة، كل رسمة من التعاويذ وكل نقش، مرات ومرات أنظر لما أتممته بترقب حذر..

وجاء وقت التنفيذ، أشعلت الشموع كلها وأخذت أنطق تلك التعاويذ المكتوبة بورقة أمامي.. وأخذ صوتي يعلو وصداه يتكرر في الفيلا فيزيد الأمر وحشة.. مرت دقائق وأنا أنهي التعاويذ وأنتظر أن يحدث شيئًا، ولكن الهدوء كان سائدًا، وران صمت مميت على المكان.. وبغتة راحت أضواء الشموع تتراقص وكأن هناك من يحاول أن يطفئها، بينما سمعت صوت قوي يأتي إلي من كل مكان، صوت لم أفهمه، قبل أن ينتشر بخار أخضر اللون في المكان راح يتزايد بشدة رهيبة، فرحت أعيد ترديد التعاويذ، وراحت جدران الفيلا تهتز بعنف وأصوات رهيبة تضرب أذني، أصوات تشعر أنها تأتي من أعماق الجحيم، وأخذت الصور تهتز أمامي بصورة مزعجة، أشاهد صورتي منعكسة في المرايا حولي بصعوبة بالغة والضباب الأخضر يتزايد في قسوة قبل أن أراهم أمامي من أين أتوا.. أي جحيم هذا.. أشعر وكأن ثمة أحدًا ضرب رأسي بقوة لأسقط على الأرض.. وأنا أرى ما يحدث أمامي في ذهول لا ينتهي..

وقتها أدركت أن المرآة حملت لي مفاجأة جديدة.. مفاجأة لم أكن أنتظرها..

جلست في وسط دائرة التعاويذ وجسدي يرتعش قبل أن أشعر بأنفاسي تضيق، وجسدي يرتعش ونبضي يتسارع بعنف وأنا أتساءل هل هذه هي النهاية؟!

نهايتي أنا!!

قبل أن أسقط فاقدًا الوعي.

❖❖❖

الفصل السابع

عندما أفقت كان رنين جرس الفيلا يتواصل بإلحاح شديد، كان شريف الذي أصر على الدخول وقف من فوق السور الخارجي للفيلا ومع إلحاحه فتحت له وكل شيء في مكانه، وفي النهاية انصرف شريف مع وعد مني أن أفتح له الباب غداً، ولكن السؤال الذي أخذ يتردد في عقلي وقتها هل سأكون على قيد الحياة غداً وأنا ألمح صورتهم خلفي في المرايا وفي كل مكان، كيف لم أنتبه وقتها أنني أفتح بوابة الجحيم لخروجهم، كيف بعد أن تخلصت من كل التحف المنحوتة في الفيلا من عظام الهياكل.. هل تاه مني شيء؟!

لا أعرف لماذا راحت صورهم في المرآة تقترب وتقترب.. إنها أرواح كل من دخل الفيلا كهيكل عظمي مارست فيه أمي هوايتها الملعونة، كانت كل مرآة تعكس صورة مرعبة.. أتلفت حولي لا أراهم ولكنهم موجودون في المرايا.. حاولت أن أعيد إضاءة الفيلا،

ولكن لم يتغير شيء هناك أحد فصل الكهرباء عن الفيلا نهائيًا حتى بعد أن أعدت كل شيء لما هو عليه.. أي انتقام أنتظره من هؤلاء الأشباح..

رحت أضحك بهستيرية، جميل أن ترى الأشباح رؤى العين الأغرب أنك تراهم خلال انعكاس صورتهم في المرآة.. ولكن الحقيقي لم يكن انعكاسًا قدر أن أرواحهم الآن محبوسة في المرايا حولي.. ولكن لمتى؟!

إذا حطمت تلك المرايا الآن، لا أضمن أن أخرج حيًا.. سيهاجمني عشرات الأشباح، ربما انتقامًا من أمي.. يقولون إن الأشباح عبارة عن قرين بشري للمتوفى.. وأحيانًا يكون قريبًا من الجن.. بهذه البساطة يتحدثون عن الأشباح والجن؟!

المدهش أنني أتعامل مع الأمر بلا خوف، وكأنني فقدت كل إحساس بالحياة.. هل بسبب المرض وقربي من الموت؟! لا أعلم حقًا من أين اكتسب هذا الهدوء العجيب.. منذ فترة ليست ببعيدة لو كلمني شخص عن الأشباح لمت رعبًا.. الآن هم حولي في كل مكان وأنا هادئ لدرجة أظن عندها أنني أنا الآخر قد مت وصرت شبحيًا.. هل هذا معقول.. مددت يدي إلى كرسي في البهو، ورحت أسحبه فسمعت صوت جرجرته على الأرض.. اطمأن قلبي قليلاً أنني حي على الأقل للآن..

أتذكر كيف رأيتهم فجأة حولي وأنا أواصل ترديد التعاويذ، وشاهدتهم يتراقصون كظلال وطيف حولي، شعرت بهم يعبرون من خلال جسدي إلى المرايا، شاهدت نظراتهم الوحشية لي، بعضهم كان مشوهًا بالكامل، وآخرون بدوا طبيعيين.. أشباح طبيعية!! ما هذه الهلوسة التي تضرب عقلي؟!

الشموع ما زالت مضاءة، والدائرة مرسومة على الأرض أمامي، والتعاويذ مكتوبة بمنتهى الدقة، كل هذا والخطأ الذي لا أعرف من أين جاء حطم كل شيء حولي.. شعرت بأنهم يراقبونني بشغف وكأنهم يحاولون فهمي.. قبل أن أشعر بغتة مرة أخرى بالضباب ينتشر من حولي بصورة أكبر.. وشعرت بقوة يد رهيبة تقبض على رقبتي، حاولت دفعها بعيدًا، ولكنها كانت تسحبني بقوة تجاه المرآة الشيطانية، أحاول أن أتملص ولكن اليد ما زالت تقبض على عنقي، يد تشك أن لها نهاية أوارتباط بجسد، قبل أن تظلم الدنيا أمامي بغتة مع قوة شد رهيبة.. وأخر وهلة قبلها كنت أتجه للمرآة وأشك أنني عبرتها، عبرت ما وراء المرآة، هذا الظلام الدامس الذي راح يتزايد وخففت اليد من قبضتها على رقبتي، ثم حررتني وسط ظلام سرمدي يبدو بلا نهاية..

هذه المرة عندما بدأ الظلام ينقشع تدريجيًا، كنت أشاهد

نفسي كفتى في الحادية عشر من السن تقريبًا أواكبر قليلاً، أجلس أمام أبي في مكتبه على مقعدين وسطنا مائدة صغيرة وضع عليها لوحة شطرنج، تلك الهواية التي كانت يحبها أبي وكان يعلمني وقتها كل أسرارها ونقلاتها، كدت أضحي بالحصان من أجل الوزير عندما دخلت أمي بغتة علينا المكتب وهي تحمل في يدها صندوق صغير الحجم، راحت تزيح بيدها قطع اللعبة عن الرقعة، وسط نظرات أبي الغاضبة، ولكنها ابتسمت وهي تضع أمامنا قطع أخرى شديدة اللمعان، سوداء وبيضاء، وهي تهمس لأبي في صوت غريب هديتي لك، لم أفهم معنى ما فعلته أمي حتى قالت، ما رأيكم نحتها بنفسي.. بعد ثوان اختفت الصورة من أمامي لأجد أمي قبلها بمدة على ما أظن في غرفة النحت، تستخرج مجموعة دقيقة من العظام كانت تحتفظ بها وراحت بشغف تنحتها كقطع الشطرنج بمنتهى الدقة والهدوء، قبل أن تطلي القطع باللون الأسود والأخرى باللون الأبيض.. اللعنة!

أكل هذه السنوات بعدها حتى موت أبي كنا نلعب بقطع شطرنج منحوتة من عظام موتى.. هل بين القطع قطعة من عظام العشيقة.. أي وهم كان سيصيب أبي إذا عرف؟!!

الآن فقط فهمت لماذا عادوا وظهرت هذه الأشباح في الفيلا، لقد استدعيتها دون أن أقصد بتلك التعاويذ الشيطانية،

استرجعتهم كقطع شطرنج جديدة شبحية ستحطم حياتي أوما تبقى منها!

لماذا تريني المرآة كل هذا، هل لتزيد من رعبي أنها مازالت تملك تحديد مصيري أم أنها غضبت علي فقررت عودة تلك الأشباح إلى الأرض من جديد كانتقام جديد ولكن لأي سبب..

أشعر بصداع رهيب يضرب رأسي، والصور راحت تتراقص أمام عينيّ حتى اختفت في النهاية.. وعندما عدت لأرض الواقع، كان كل شيء قد اختفى وعادت الإضاءة للفيلا، بينما وقفت المرايا أمامي كسر جديد عليّ أن أتجاوزه لأصل إلى الحقيقة..

وظهر سؤال جديد لي، لمتى سوف تستمر المفاجآت بهذه الصورة المرعبة؟!!

وأخذ قلبي ينقض بين ضلوعي بعنف وقوة.. وأنا لا أعلم أية نهاية سأصل لها بعد كل هذا..

❖❖❖

الصباح يأتي ليزيل كثيرًا من مخاوف الليل التي كادت تقضي عليّ.. لا أعرف لماذا قررت أن أغادر الفيلا قبل مجيء شريف، شيء جعلني أحاول الهروب من لقائه في تلك اللحظة، ارتديت ملابسي بسرعة وكأن هناك من يطاردني.. أطلقت للسيارة العنان بعد خروجي من باب الفيلا، كان عليّ أن أقرر إلى أين أذهب الآن.. الشركة؟ بالطبع لم أزرها منذ فترة، هالة أوحشتني بالفعل، يجب أن أطمئنها عليّ..

جاء دخولي الشركة كحدث مدوٍ، فشكلي وملامحي المنقبضة، وذقني التي لم أحرص على حلقها كل ذلك جعل منظر دخولي شيء يدعو للتساؤل والمهمهمات.. طلبت من صفوت فنجانًا من القهوة وليأتي به إلى مكتبي.. نظر لي وهو يتأمل ملامحي في حيرة..

دخلت المكتب كانت هالة منكبّة على عدة أوراق أمامها، لم تنتبه لوهلة لدخولي وجاء صوتي هامسًا وأنا أقول لها:

- "صباح الخير.."

ردت هالة الصباح وهي تنظر لي ووقفت الكلمات في حلقها قبل أن تستجمع تشتت ذهنها لتقول لي وهي تحتضن يدي:

- "ما الذي تفعله بنفسك؟"

- "لا تشغلي بالك.. إرهاق شديد فقط.. وبرد عارض.."

- "لماذا لم تخبرني، لماذا كنت تتجاهل تليفوناتي؟!!"

- كنت مريضًا ولم أرد أن أثير قلقك.. المهم ما هي أخبار الشركة؟"

دارت هالة لتقف قبالتي وهي تنظر في عيني المتعبتين قائلة:

- "ألم يحن الوقت لتخبرني ما الذي يجري حقًا؟"

ربتت على كتفها وأنا أتجه للمكتب وأجلس قائلاً:

- "اطمئني كل شيء بخير.. قل لي لأين وصلنا في المشروع الجديد؟"

- كل شيء يسير على ما يرام اطمئن تعليماتك تنفذ بحذافيرها، لكن.. عبد الحميد جابر أصبح يفرض شروطه طوال الوقت والتكليفات تصلنا منه أحيانًا بصورة غريبة ومتعجلة وأخاف حقيقة أن أفقد سيطرتي على الأمور.. الأمر يتطلب عودتك بسرعة لمباشرة كل شيء."

- "ليس الآن.. عليك أن تجاريه في كل شيء حتى أعود، اعتبري الموضوع امتحانًا لقدرتك على إدارة الشركة.."

- "عبد الحميد جابر ليس هينًا.."

- "أنتِ من شجعتِ الشراكة بيننا.. فتحملي قليلاً.."

- "وهل كنا نستطيع الرفض؟!"

دخل صفوت في تلك اللحظة وضع فنجان القهوة أمامي وانصرف وهو يتأملني لوهلة.. فابتسمت في وجهه، انتبه لتحديقه فابتسم وهو يغادر مسرعًا..

- "شكلي يخيفهم؟!"

ساد جو من التوتر بيننا قبل أن تقول هالة في تفكير:

- "بالطبع منظرك يقول أن هناك مشاكل رهيبة تحدث لدرجة تجعلك لا تهتم بمظهرك الذي كنت دومًا شديد الاعتناء به... أنا أيضًا يخيفني ما أنت فيه."

ابتسمت وأنا أقول لها:

- "اسمحي لي أريد الجلوس لوحدي ساعتين وسوف أنصرف، لا أريد إزعاجًا من أحد ولا أي اتصالات.."

حاولت هالة أن تعترض لهروبي من أسئلتها، ولكن نظراتي المتعبة وملامح وجهي المرهقة جعلتها تلتمس لي العذر وهي تجمع الأوراق التي كانت تعمل عليها وتغادر الغرفة..

ساعة ونصف تقريبًا قضيتها في تفكير في كل شيء حدث لي منذ البداية.. من يتأمل وجهي خلال تلك الساعة لتأكد بما لا يدع مجالاً للشك أنني مجنون وأحتاج لطبيب نفسي فملامحي

كانت تنتقل من الابتسام للانقباض للذهول في تتابع غريب. مرآة صغيرة على المكتب وضعتها هالة كانت تعيدني للواقع كلما شردت وأنا أنظر للملامحي فيها، قلبت المرآة في النهاية على وجهها وأنا ألتقط هاتفي المحمول وأتصل بسارة، لا ترد.. لابدّ أنها نائمة، عاودت الاتصال بها عدة مرات، وفي المرة الخامسة أوالسادسة جاء صوتها متثائبًا وهي تقول:

- "خير.. هل انتهى كل شيء؟"

- كلاّ لقد بدأ.. أريد أن أراك.."

- "إنني مجهدة ونائمة، ليكن ميعادنا في الثامنة مساء، أنت تعرف المكان.. إلى اللقاء."

أغلقت الخط دون أن تدع لي فرصة للاعتراض.. ليكن الثامنة مساء ميعاد مناسب، لن أعود للفيلا قبلها، هل لدي الجرأة حقًا للعودة للفيلا.. لماذا لا أغادرها وأهرب؟..

في كل الأحوال إنني ذاهب في القريب لو صدق الطب..

حياتي مرتبطة بالفيلا ولن أتركها لأشباح تعبث بها.. الأشباح!!

أتذكر تلك النظرات النارية من المرايا، وتلك العيون التي

كانت تقذف باللهب تقريبًا، أظن أنني رأيت أجسادهم تحترق للحظات..

قبل مرور الساعتين كنت أغادر الغرفة لمحت نظرات التساؤل في عيون موظفي الشركة والهمهمات والهمسات الدائرة بينهم، لم أهتم، غادرت الشركة دون العودة لهالة التي كانت تجلس في مكتبها القديم..

جاءني تليفون هالة بعد انصرافي بدقائق من الشركة معاتبًا لماذا لم أمر عليها قبل مغادرتي، فتحججت بالإرهاق وقلت أنني سأتصل بها قريبًا فعليها الانتظار، لم تعلم هالة لماذا عليها الانتظار ولمتى ولكني أنهيت المكالمة على الوعد المعتاد أنني سوف أحكي لها كل شيء في وقته..

رحت أدور بالسيارة بالساعات في الشوارع بلا هدف.. كان الألم قد بدأ يتزايد مرة أخرى، مررت على الصيدلية واشتريت المسكن الذي كتبه لي الطبيب، وطلبت كوبًا من الماء من الصيدلي وجرعت حبتين من الدواء قبل أن أغادر الصيدلية والألم يضرب بدني كله بقوة رهيبة..

لم ينقض النهار بعد وما يزال أمامي عدة ساعات قبل ميعاد سارة...

تلقيت عدة اتصالات من شريف ولكني لم أرد عليه أرغب بالابتعاد عنه الآن..

شريف أصبح يخيفني فهو يعلم مرضي وقد يخبر هالة وقتها لن أستطيع مواجهتها بصورة طبيعية ويجب أن أشرح لها أنني سأموت قريبًا الكثير من الدموع والكثير من الحزن لا أرغب فيه الآن..

ليته يصمت شريف حتى ينتهي الأمر.

لماذا بغتة قررت أن أزور عبد الحميد جابر في مكتبه، اتصلت به فقال مرحبًا بي إنه ينتظرني بعد نصف ساعة.. الآن أركن السيارة أمام شركته، وأقدم بطاقتي لعامل الأمن الذي أفسح لي الطريق مشيرًا لشخص ما قائلاً: إنه ينتظرني..

لم تمر دقائق حتى كنت أجلس أمام عبد الحميد جابر، الذي بدا منزعجا عندما شاهدني في حالتي تلك من التعب والإرهاق، حاولت أن أبدو متماسكًا وأنا أعيد له بعض التخوفات التي رأيتها في الأوراق والتي مررتها لي هالة، ابتسم تلك الابتسامة الذئبية وهو يطمئنني أنها طبيعة العمل فلا أقلق.. كان عبد الحميد جابر شخصًا يثير الكثير من الحيرة بداخلي فهو شيطان بحق، شيطان يجب الاحتراس منه وأنت تغامر أن تخطو أمامه خطوة غير مدروسة، وكانت زيارتي له غير مدروسة هذه المرة؛ فشعرت بأنه يواصل سيطرته على الأمور

بحق، بل إنه سيسيطر عليّ أنا تقريبًا لو استمريت في محاولة إقناعه بجدوى اتباع القوانين والعقود..

بدا تفكيري مشوشًا، نظراته وتهديداته كانت واضحة لأكتفي بمكاسبي من الشراكة وأصمت، ساد الصمت بيننا لدقائق وشعرت بالتوتر يرين على المكان فقررت الانصراف.. غادرت الشركة بعد فترة وأنا أغلي من الداخل، لو تبقى لي عمر، يجب أن ألحق بهذا الرجل هزيمة تزيحه من طريقي للأبد.. ولكن هل هناك وقت لهذا.. نظراته لي وهو يودعني كانت تحيرني أكثر، هذا الرجل يخفي أمرًا ما لي.. ليكن!

لننتظر الوقت هو من سيكون له الحكم في النهاية..

الساعة شارفت على الثامنة مساء، أخذت مكاني أمام مقود السيارة وأدرت المحرك وأطلقت لها العنان، السيارة تقطع الطريق بأقصى سرعة وأنا أدوس دواسة البنزين أكثر لدرجة رهيبة، أسمع صوت صرير عجلات السيارة بالأسفلت، وأنا أواصل الانطلاق لا ألوي على شيء، بعد مدة قطعت فيها المسافة في فترة زمنية قصيرة قدر استطاعتي، كنت أركن السيارة أمام مكان اللقاء وأخذت أصعد درجات السلم درجتين بدرجتين، العمارة جديدة والمصعد لم يعمل بعد، ولم أرَ لها بوابا.. الظلام يكتنف

السلم، أخيرًا وقفت أمام باب الشقة التقط أنفاسي.. لا أعرف لماذا شعرت أن عليّ الحضور بأقصى ما أستطيع.. باب الشقة مفتوح، دخلت وأنا أتلفت حولي الصالة مظلمة تمامًا، ناديت على سارة فلم أتلق أي رد، عاودت النداء فجاوبني الصمت، كانت هناك إضاءة خافتة تجيء من حجرة سارة من الجليّ أنها إضاءة شموع.. تحسست طريقي إلى الغرفة وأنا أواصل النداء على سارة، دفعت باب غرفة النوم ببطء، وأنا أخطو للداخل، تحجرت قدماي في مكانهما، واتسعت عيناي في ذهول بينما جف ريقي تمامًا، أردت أن أصرخ فتوقفت الصرخة في حلقي، فأمام عيني كانت هناك دائرة يتوسطها نجمة سداسية وحواف الدائرة عبارة عن أسطوانة دائرية مكشوفة كل هذا كان بسيطًا، فأمامي جسد سارة الملقى على السرير وقدميها للداخل ويديها مفرودتين وموصل بهما خراطيم تتقل، بل إنها تصفي دماءها بالكامل إلى الأسطوانة الدائرية، في حين قد قطعت أصابعها العشرة ووضعت بكوبين مملوءين بشيء ما شديد البياض بجوارها، وبدت الأصابع وكأنها تغلي داخل الكوبين وتتصاعد رائحة عجيبة في المكان.. عمودها الفقري منزوعًا بالكامل من مكانه بقوة رهيبة وجزء منه ما زال متصلاً بالجسد في بشاعة، بينما رأس سارة نفسها لم يعد له وجود فهناك من جز عنقها بالكامل وفصل رأسها عن مكانها،

نظرتُ بفزع ورعب للمكان وأنا أحاول التراجع للخلف، لمحتُ رأسها أمام مرآة على منضدة يساري وقد غرس مكان العينين شمعتين مشتعلتين وتدلى لسانها للخارج في بشاعة وقد غُرس خنجر صغير في منتصفه ورسمت نجمة على جبهتها بالسكين بينما على المرآة نفسها كتب بالدم بعض الجمل غير المفهومة بلغة وحروف لم أرها من قبل..

جاء الوقت لأترك لقدمي العنان وأنا أتراجع من هول ما رأيت، لم ألق نظرة للوراء وأنا أقفز درجات السلم قفزًا إلى أسفل، هنيهة كنت أدير محرك السيارة وأنا أنطلق وجسدي كله يرتعش بقوة.. ما الذي يحدث؟!

من المجنون الذي فعل بسارة ما رأيته أمامي.. ما هذه السادية البشعة أي شخص هذا..

لا أستطيع التفكير، عقلي مشتت بالكامل وقد امتقعت ملامحي لتزيد من بشاعة منظري اليوم..

كلاّ مستحيل! أي شيطان رجيم يطاردني.. هل فتحت أبواب الجحيم؟؟

هل بدأ انتقامهم مني.. ولكن لماذا سارة؟ ألإنها من حذرتني وتعرف أكثر..

لا أستطيع أن أسيطر على تلك الارتجافة في بدني، خصوصًا عندما انتابني ذلك الخاطر بغتة، جثة فتاة البار كانت بلا رأس، وجسد سارة حرص القاتل على فصل رأسها بوحشية عن جسدها، هل؟!! مستحيل!!

أنا لم أفعلها بكل تأكيد، حتى لو تحكمت بي كل مرايا العالم الشيطانية وشياطينه السفلية.. لابدّ أنه أمر آخر.. الشوارع أشعر وكأنها تظلم أمامي، عيناي من ذلك الغبي الذي يضيء مصباحي سيارته في عيني، انتبهت في آخر لحظة أنني كنت على وشك الاصطدام بسيارة نقل تأتي في مواجهتي فأدرت مقود السيارة جانبًا فعبرت النقل من جواري وسائقها يطلق نفيرها بقوة..

بعد ثوان كنت أقف على جانب الطريق ألتقط أنفاسي..

كان يفصل بيني وبين الموت لحظات، ليكن حتى لو حدث ما الفارق؟!!

كلاّ ستفرق الآن بالذات، هالة، وعبير، وفؤاد، وشريف، إنهم في خطر..

أنا من فتح هذا الباب من الجحيم وعليّ أن أغلقه..

أخرجت هاتفي الخلوي واتصلت بهالة، قالت إنها في طريقها

للبيت، وسألتني عن مكاني، وأخبرتني أنني لو أحببت من الممكن أن آتي على العشاء اليوم.. حذرتها لو شعرت بأي شيء غريب أن تتصل بي فورًا، لم تفهم مقصدي بالشيء الغريب الذي قد تشعر به، ظنت أنني أتكلم عن العمل مع شركة عبد الحميد جابر، لم أرد أن أزيد مخاوفها أكثر وأنا أقول لها إن عليها أن تتصل بي كل نصف ساعة لتطمئنني عليها وأنني سأتصل بها أيضًا، لم ترَ مبررًا لخوفي وهي تغلق الخط قائلة أنني صرت مجنونًا بحق هذه الأيام..

حاولت بعدها مهاتفة عبير وفؤاد ولكن كالعادة منذ فترة لا أجد أي صوت يقول إن الأرقام التي لدي وتخصهما كانت تعمل في يوم من الأيام.

اتصلت بشريف لكن أتاني الصوت عبر السماعة أن تليفونه هو الآخر مغلق أوقد يكون خارج الخدمة..

عليّ أن أذهب إليه لتحذيره، صباحًا كنت أهرب من لقائه والآن عليّ لقاؤه بأية صورة من الصور.. بالطبع سيظنني مجنونًا، لا يهمّ.. المهم أن أطمئن أنه بخير..

أدرت محرك السيارة مرة أخرى وأنا متجه لبيت شريف.. متمنيًا بداخلي ألاّ يكون حدث له ما يسوء..

بعد فترة كنت أقف أمام عمارة شريف، هاتفه مازال مغلقًا أوخارج الخدمة، صعدت لأعلى ودققت جرس الشقة عدة مرات ولكن جاوبني الصمت، عاودت الدق على الباب بيدي أيضًا ولم أتلق أية إجابة، لم أرد أن ألفت النظر إليّ، فنزلت أسفل العمارة، عاودت الاتصال به، لا فائدة!!

القلق بدأ يعصف بي حقًا، هل أصابه شيء؟..

انتظرت في مكاني فترة طويلة، شعرت بالجوع، جاء اتصال هالة لتطمئنني على نفسها كما طلبت منها، كان الشارع في تلك المنطقة قد بدأ يعوم في ظلام تام وكأن هناك من تعمد إظلام المنطقة..

وعلى الضوء الشاحب البسيط الذي يأتي من عمود في منتصف الشارع لمحتهما قادمين، كان شريف يتأبط يد زوجته وسمعت ضحكته عالية، مرا من جواري بعد هنيهة ولم ينتبها لي، وصل لي جزء من حديثهما عن السينما والفيلم الذي كانا يشاهدانه كانت ملامحهما غير واضحة في الظلام لكني أعرف صوت شريف جيدًا.. زفرت في عمق وارتياح وأنا أراهما يدخلان من باب العمارة.. ونور المدخل ينعكس على ملامح وجه شريف..

كان عليّ أن أغادر فوجودي الآن لا مبرر له، ضغطت على

دواسة البنزين، وتطلعت للعمارة بنظرة أخيرة جانبية قبل أن آخذ الطريق الرئيسي، وكان السؤال الذي راح يتردد في ذهني بقوة الآن.

إلى أين؟!!

إلى أين ستكون وجهتي الآن؟!!

◆◆◆

الفصل الثامن

كانت الشمس قد أشرقت، عندما كنت أدلف بسيارتي إلى داخل الفيلا..

ليلة انقضت حملت لي أشياء لم أكن أتخيلها، دفعت بالمفتاح في باب الفيلا وأدرته وأنا أدفع الباب للداخل، كانت الستائر مغلقة بالكامل، والأنوار مطفأة، فبدت الفيلا وكأنها مهجورة، أزحت الستائر جانبًا لتتخلل الشمس المكان، وكأني بهذا أطرد كل الأشباح الساكنة في تلك المرايا التي ظلت في مكانها، تطلعت للدائرة المرسومة بالطباشير على الأرض، وإلى كتب السحر الكثيرة الملقاة في كل مكان في البهو، وتلك المرآة الملعونة التي بدأ من عندها كل شيء ظلت هي الأخرى في مكانها.. إذن لم تعبث الأشباح بشيء، كوميدي هذا الموقف بكل تأكيد.. إنه الضحك الأسود.

شعرت بحاجة ماسة إلى النوم، ألقيت نظرة على كل شيء وأضأت نور الفيلا بالكامل- الذي لا أعرف من أعاده- برغم أشعة الشمس التي كانت تضيء المكان الآن..

صعدت لغرفتي وأنا أجر جسدي جرًا، كنت تقريبًا فاقد الإحساس بقدمي، بل بجسدي كله..

المسكنات التي رحت أمس أتناولها مع كمية الخمر التي شربتها جعلتني لوهلة أشعر أنني أصبحت غير موجود على هذه الأرض، بل ربما صارت الأرض نفسها بعيدة جدًا عن مخيلتي..

ارتميت على الفراش، حاولتُ أن أغمض عيني اللتين كانتا تحملقان في السقف بلا مبرر، وكأنه أصبح لعيني ذاكرة خاصة بهما فقررتا الانفصال عن جسدي، وربما خيل لي لثوان أن لعيني خيال خاص، ربما الآن يظنان أن الأشباح ستنقض عليّ من أعلى.. ارتفعت ضحكتي عالية، وأنا أتمتم: اللعنة، لا بدّ أنني ما زلت سكران..

ما رأيته أمس جعل مسألة سكري أمرًا جانبيًا لا يساوي شيئًا، بعدما شاهدت شريف وزوجته يصعدان لشقتهما، وجدت نفسي أغادر المكان وأطلق الأمر لسيارتي، لا أدري كيف بعد فترة وجدت نفسي أركن أمام ذلك البار، مرة أخرى أعود لذاك البار وكأن السر الذي يربطني به سوف ينكشف الآن..

اتصلت بهالة مرتين قبل دخولي لأطمئن، فقالت إنني أصبحت لا أطاق وعليّ أن أهدأ قليلاً، لأنها تحتاج للنوم، أيام لا

أتصل بها وفي يوم واحد أتصل بها كل ثلاث دقائق وحتى الثانية صباحًا، لأهدأ وأتركها للنوم وستكلمني من الشركة غدًا...

دخلت البار كانت الإضاءة خافتة كالعادة، وهناك راقصة على المسرح تتلوى، بينما السكارى في كل مكان حولي، تعرفني ذاك النادل الذي كنت أمنحه بقشيشًا محترمًا، فجاء ناحيتي وهو يفسح لي الطريق حتى مائدة شاغرة، جلستُ باللامبالاة رحت أتطلع للوجوه، لا أعرف لماذا أتيت حقًا لهنا مرة ثانية، وشعرت بعد دقائق أن عليّ المغادرة، اقترب النادل وضع أمامي زجاجة طلبتها، فمنحته مبلغًا في يده وقفت وبالفعل كنت سوف أنصرف عندما مال على أذني قائلاً:

- "صحبتك هنا.."

تطلعت له في دهشة فأشار لي إلى جانب من البار وهو يكمل:

- "ولكن للأسف معها زبون آخر اليوم.."

اتسعت عيناي بصورة رهيبة، فالتي أشار إليها النادل، كانت تلك الفتاة، الفتاة التي رأيت جسدها في المشرحة دون رأس، مستحيل!!

كانت الفتاة تجلس إلى رجل أشيب الشعر وتنطلق ضحكاتهما الصاخبة اللاذعة لترن في أذني رنين الجحيم، ما هذا الهوس والجنون، الموتى يعودون للحياة!

جلست في مكاني لا أستطيع التحرك، حاولت فتاة من البار التودد إليّ، وعندما وجدت أنه لا أمل في، ولاحظت نظراتي للفتاة الأخرى وجدتها تبتعد وفي طريقها مالت على أذن الفتاة وهمست بشيء ما وهي تشير اتجاهي، تطلعت الفتاة لي بنظرة جانبية ووضح من شكلها أنها تعرفتني وجدتها ترمقني بنظرة غيظ لا أعرف لها سببًا.. ولكني آثرت البقاء في مكاني ومواصلة التحديق فيها.. لا أعرف ما طلبته من شراب في تلك اللحظة، ولكني كنت أتجرع الكئوس دون وعي مني، وعيناي لا تغادران مكان الفتاة، الموسيقى تتصاعد بعنف رهيب لتزحم رأسي بآلاف الأفكار والكوابيس..

راح الوقت ينقضي وأنا على وضعي لم أزحزح عينيّ عن الفتاة، التي أخذت ترمقني من حين لآخر بنظرات تحمل التردد والتوجس..

تذكرت خاتمها الذي معي أنني وضعته في درج السيارة منذ فترة ونسيته، بعد مدة كانت الفتاة تغادر البار ومعها ذلك الرجل الذي كان يجالسها، مرت من أمام مائدتي وهي ترمقني بتوتر، تابعتهما بعد لحظات، كانت تقف أمام باب البار بينما ذهب الرجل ليجلب سيارته، اقتربت منها وأنا في حالتي تلك قائلاً:

- "أريدك.."

تطلعت" لي وهي تقول:

- "أرجوك لا أريد مشاكل.."

قلت وأنا أحاول أن تخرج كلماتي دون تلعثم:

- "دقائق فقط.. الأمر هام.."

أثارت حيرتي أكثر وهي تقول غاضبة:

- "ألم يكفيك ما حدث منك المرة السابقة؟!!"

كان الرجل في هذه اللحظة قد جاء بسيارته أمامها وفتح باب السيارة وهو يشير لها بالدخول، دخلت للسيارة بسرعة وأغلقت الباب، لتنطلق السيارة من أمامي، وجدت نفسي بعد ثوان أتجه لسيارتي وأدير محركها متبعًا السيارة التي تحملها، كنت في حالة يرثى لها وقيادتي في تلك اللحظة للسيارة نوع من الانتحار، ولكني لم أهتم، وعيناي متصلبتان على السيارة أمامي، في النهاية توقفت السيارة وهبطت منها الفتاة والرجل وهما يضحكان في صخب قبل أن يدلفا إلى عمارة، حيا الرجل البواب ووضع في يده بعض النقود، فهزّ البواب رأسه وابتسم، ركنت سيارتي غير بعيد عن العمارة بحيث أصبحت أرى الباب بوضوح.. لا أعرف ما الذي عليّ فعله، هل أنزل لأسأل البواب عن الرجل وشقته، ولكني

فضلت الانتظار، وظللت متسمرًا في مكاني خلف عجلة القيادة، ساعة أوأكثر ووجدتها تهبط من العمارة لوحدها، وهي تتلفت على باب العمارة، وكأنها تبحث عن شيء ما، في تلك اللحظة وجدت نفسي أدير محرك السيارة وأتجه لمكانها ووقفت وفتحت باب السيارة وأنا أقول آمرًا:

- "اركبي!"

نظرت يسارًا ويمينًا وكأنها تبحث عن نجدة مني قبل أن أعيد عبارتي بصوت أقوى فدلفت لسيارتي وهي تقول بصوت حاولت أن تجعله ناعمًا:

- "مصمم أنت!"

أغلقت الباب بيدي بعد ركوبها وأنا أضغط على دواسة البنزين، مرت فترة ساد فيها الصمت حتى قالت:

- "ما الذي تريده مني حقًا؟"-

وضعت في يدها مبلغًا من المال وأنا أقول لها وخاتمها في راحة يدي:

- "أريد أن أعرف ما الذي أتى بهذا الخاتم لسيارتي؟"

قالت في لا مبالاة:

- "أنا خلعته ونسيته المرة السابقة عندما كنا معا في السيارة.. كنت أظنك تريد.. تريد.. ولكنك عاملتني بجفاء وطردتني من سيارتك في منتصف الليل وفي منطقة مهجورة.."

- "أنا فعلت هذا؟!!"

- "بالطبع وهل كان هناك غيرك يقود هذه السيارة.. إنني رغم كل شيء لا أنسى زيونًا ركبت معه، وأنت بالذات لما فعلته من الصعب أن أنسى شكلك.."

- "آسف لا بدّ أنني كنت سكران.."

- "كاليوم!"

- "واضح أنني بالفعل ما زلت سكرانًا.. آسف مرة أخرى.. تفضلي خاتمك.. والآن أين تريد أن أوصلك؟"

تطلعت لوجهي بذهول وهي تقول:

- "توصلني.. كل هذا من أجل أن توصلني.. ليكن يا سيّدي.."

قالت المكان الذي كانت تريد النزول فيه ولكنها قالت إن عليّ أن أنزلها قبلها بشارع أوشارعين.. وعاد الهدوء يرين على السيارة لا يقطعه شيء.. إذن لا سحر في الحكاية، ولا قتيلة، إذن من هي القتيلة الأخرى مقطوعة الرأس، لا يهمّ هل أظن نفسي ضابط مباحث لتكن ما تكون...

عـاودت التحديـق في سـقف غرفتـي وأنـا أتمتـم: لا قتيلـة.. لا قتيلة..

بغتة شعرت بصوت يخترق عقلي ويتردد داخلي هناك قتيلة.. وأنت القاتل..

هـززت رأسـي بعنف وأنا أضع المخدة فوقها والصوت يتردد بقوة في أذني بلا توقف، صوت أظن أنني سمعته كثيرًا من قبل:

هناك قتيلة.. وأنت القاتل.. قاتل..

❖❖❖

كانت الساعة هي الحادية عشر مساء عندما انتفض جسدي واستيقظت بغتة، أخذت وهلة حتى أستوعب المكان، كنت في فراشي، نظرت حولي كانت الغرفة في حالة من الفوضى الكبيرة أنا صانعها.. لا يهمّ.

غادرت الفراش واتجهت إلى الحمام، أحتاج إلى دش بارد لأفيق مما أنا فيه، كان العرق يغمرني بالكامل، فلقد عشت مع الكوابيس التي لا تنتهي، والتي أصبحت جزءًا أصيلاً من حياتي الآن..

الماء ينساب على جسدي فأشعر أنني أعود للأرض التي أعرفها.. بعد عدة دقائق غادرت الحمام، وقفت أمام المرآة في غرفتي أرتدي ملابسي..

أحتاج أن أحلق ذقني، بل أحتاج أن أعود لنفسي.. تأملت هاتفي المحمول الموضوع على الكومودينو، كانت هناك عدة اتصالات من هالة، اتصلت بها وجدتها في البيت تساءلت أين كنت طوال النهار، قلت لها أنني كنت نائمًا، تعجبت ولكنني تحججت بالبرد، المهم أنها بخير، طلبت منها لو شعرت بأي شيء غريب أن تسارع بالاتصال بي، كانت تريد بإلحاح معرفة هذا الشيء الغريب الذي قد تشعر به.. طمأنتها أن كل شيء بخير ولكنها عواطف المحبين، ولا بدّ أن البرد الذي أصابني أجج حبي لها، جاءت ضحكتها صافية وهي توسمني بالجنون..

أنهيت الاتصال بها، وحاولت الاتصال بعبير وفؤاد وكالعادة لا شيء يحدث.. لو استمر هذا الأمر سوف أسافر لهما، هناك شيء يحيرني في انقطاع الاتصال بيننا.. دخلت على الحساب الإلكتروني وأرسلت لعبير رسالة أن عليها أن تطمئنني وتخبرني بسبب انقطاع الاتصال بيننا وأن تخبرني في أقرب وقت لماذا لا يردون على الرسائل الإلكترونية التي أرسلها لها ولفؤاد.. أريد أن أفهم منها أشياء كثيرة.. أرجو أن ترد في أقرب فرصة... تصفحت العديد من المواقع والصحف على الإنترنت.. لا خبر عن جريمة أمس التي شاهدتها، لابدّ أن لا أحد اكتشف الجثة للآن، فلو حدث لامتلأت المواقع والصفحات بالأخبار عن الجريمة البشعة.. حاولت الاتصال بشريف، تليفونه مغلق..

بعد قليل كنت قد انتهيت من ارتداء ملابسي، لا أريد أن أقضي بقية الليل هنا في هذه الفيلا.. خصوصًا مع وجود تلك المرايا الشيطانية الموجودة في البهو بالأسفل.. وفي نفس الوقت لا أستطيع أن أترك الفيلا لتعبث فيها الأشباح والشياطين وتهدم حياتي.. سأحاول أن أقضي الليل كله بالخارج وأعود لأنام بالنهار على الأقل في هذه الفترة حتى أفهم حقيقة ما يجري.. أي وهم وأية حقيقة أجري وراءهما!!

وضعت في فمي حبتين من الدواء، ورشفت عدة أكواب من الماء قبل أن أتجه للخارج.. ألقيت نظرة أخيرة على بهو الفيلا وتلك الكتب الشيطانية الملقاة تقريبًا في كل مكان، وتلك الرسومات الشيطانية والتعاويذ التي حرصت على ألاّ أزيلها..

هذه المرة وأنا أغادر الفيلا بسيارتي كنت أعرف وجهتي بالضبط، يجب أن أعرف ما الذي حدث بخصوص سارة، راحت السيارة تقطع الشوارع وسط ذاك الليل المدلهم..

وقفت غير بعيد عن العمارة أتطلع لكل شيء حولي، المكان ساكن بطريقة مريبة... الساعة تقترب من الواحدة والنصف صباحًا، رحت أتأمل من مكاني الطريق والعمارة وما حولها، لا أثر لشرطة متخفية، ظللت في سيارتي بعض الوقت، ولا أعرف من أين جاءتني الشجاعة وأنا أقترب من العمارة متسللاً أصعد لأعلى حيث تركت جثة سارة ممزقة أمس..

الهدوء المريب هو الذي يصحبني في رحلة صعودي للشقة، تطلعت لباب الشقة الموارب بوجل، قبل أن أدفعه ببطء وأنا أدلف للداخل،كيف لم يكتشف أحد أن الباب موارب ومفتوح منذ أمس.. لا إضاءة، الظلام يفرض سيطرته على الشقة، أخرجت هاتفي المحمول وعلى إضائته رحت أتطلع للشقة، اتسعت عيناي لأقصى

درجة، فالصالة فارغة تمامًا، لا أثر لأي أثاث، تأملت باب غرفة النوم حيث تركت الجثة أمس بقلق قبل أن أتجه ناحيتها ببطء، وأدفع الباب بحذر وكأن هناك شياطين تنتظرني بالداخل، ارتد جسدي للوراء وأنا أطالع الغرفة، لا شيء، حقًا لا شيء بالداخل، الغرفة خالية تمامًا، لا أثر لجثة سارة، لا أثر للدماء بل لا أثر لأي أثاث أيضًا، هل أخطأت الشقة، مستحيل.. رحت أدير إضاءة هاتفي المحمول في كل مكان، لا أثر لشيء وكأن هذه الشقة لم تطأها رجل ساكن بعد.. عندما درت على عقبي لمغادرة الشقة وجدته أمامي بغتة بطوله الفارع وجلبابه وهو يحمل ذلك الكلوب في يده وهو يقول بصوت خشن:

- "خير يا أستاذ خالد.. هل هناك شيء؟!!"

ارتجف بدني لرؤيته ولعينيه المدهوشتين الغريبتين المتطلعتين لي في تساؤل عجيب، وجدت نفسي أزيحه عن طريقي وأنا أهبط السلالم جريًا.. وأتجه إلى سيارتي وصوته يأتي من أعلى عاليًا خشنًا وهو يردد اسمي متسائلاً ما الأمر، من الواضح أن هذا الغفير يعرفني جيدًا ويعرف اسمي.. ولكن كيف؟ لم أجد مبررًا لمكوثي في المكان وأنا أركب سيارتي وأنطلق، لمحته يقف أمام باب العمارة بالكلوب المضاء يتأملني وأنا أفر من أمامه وهو ما يزال ينادي باسمي..

هذه المرة كان ثمة أسئلة جديدة تضاف إلى قائمة الأسئلة المحيرة لي في الفترة الأخيرة..

أين اختفت جثة سارة، ولماذا؟

ومن يكون قاتلها، ولمصلحة من تختفي جثتها؟ وكيف أفرغوا الشقة من كل شيء..

ومن أين يعرفني ذلك الغفير؟

لا أعرف لماذا سطع في ذهني اسم عبد الحميد جابر، وأنا أنطلق في الشوارع وعقلي مشتت في كل اتجاه..

وأشعر أن ثمة لعنة ما صارت تطاردني، ويقسوة، حتى أصبحت لا أعرف من أين تأتيني الضربة الجديدة.

المرآة الشيطانية، وجثة سارة، وفتاة البار التي ظهرت بعد موتها، والمرض الذي صار يسيطر على جسدي..

أي شيطان يعبث بي، أي شيطان؟!!!

◆◆◆

الخاتمة

الصداع يضرب رأسي بشدة، أشعر وكأن مخي كله يتفتت، يتحول إلى أشلاء..

أدوس على دواسة البنزين بعصبية بالغة وأنا أهزّ رأسي، لا أستطيع استيعاب كل ما يحدث لي. أهناك لعنة بهذه الصورة، لماذا أنا؟ لماذا؟

السيارة تجري من شارع لشارع وأنا غير حريص على خفض سرعتها، بل شعرت بلحظة أنني ذاهب للانتحار..

أشعر باضطراب أنفاسي، والعرق الغزير الذي راح يتصبب عن جبيني بشدة، جسدي كله أشعر أنه صار كتلة من العرق.. احتقان في زوري، وأشعر برغبة قوية في حك جلدي..

أحاول التفكير، ولكن الأفكار تهرب مني، لا فكرة تستقر لثانية في دماغي لتحل أخرى محلها.. الصور تترى أمامي في جنون، أمي،

وأبي، العشيقة التي قتلتها أمي ودفنها أبي، تلك التحف الفنية من عظام الموتى، المقابر وطريقي إليها، الطبيب الأحمق الذي شخص حالتي وقرر أنه لم يتبق لي سوى شهور قليلة، المرض المستفحل في جسدي والألم المتزايد، مرآة ابنة الشيطان، كل هذا الهوس وكل هذا الجنون.. أحلامي التي ماتت الآن وأصبح علي أن أعد العدة للمغادرة.. فتاة البار والجثة مفصولة الرأس.. سارة والتعاويذ، شياطين المرايا.. النجمة المرسومة بالطباشير على أرضية الفيلا.. الأشباح التي استدعيتها لتزيد من هول حياتي.. غياهب المجهول.. أي جحيم صار يتملكني ويملك روحي..

أشعر بضباب يلف الرؤية أمامي، ضباب كثيف، أمسح العرق الغزير المنسال على وجهي، أشعر بمذاق مالح على شفتي، الكوابيس تطاردني وأنا صاح.. شريف.. لمع اسمه في ذهني المشتت.. شريف هو من أحتاج إليه الآن.. على الأقل قد يعلم أي شيء عن سارة، قد يعلم عن اختفائها منذ أمس.. هو من جاء بها إليّ، ألم يكن عن طلبي... أدرت مقود السيارة بشدة فسمعت صوت صريرها على الأسفلت وأنا أتخذ اتجاهًا يقودني لبيت شريف، الساعة تقارب الثالثة صباحًا، هاتفه لا يرد، ليس أمامي سوى اللجوء إليه الآن، أحتاج لشخص أتكلم معه وإلا سأجن..

لا أعرف كم مضى من الوقت قبل أن أركن بسيارتي أمام عمارة شريف، أخذت الدرجات عدوًا درجتين بدرجتين، توقفت أمام الشقة لوهلة قبل أن أضع يدي على جرس الباب ليرتفع الرنين في ذلك الليل الهادئ.. سمعت بعد هنيهة صوت تحرك قدميه في الداخل، قبل أن يفتح الباب لأجده أمامي بالمنامة، لمحت نظرة الذهول في عينيه قبل أن يقول بصوت غريب:

- "أنت؟ ما الذي جاء بك إلى هنا؟"

أزحته من طريقي وأنا أدخل قائلاً:

- "أحتاج إليك.."

جاء صوته غاضبًا لأقصى درجة وهو يكاد يصرخ في:

- "أأنت مجنون؟ من فضلك لا أريدك في بيتي.. كفى ما حدث منك سابقًا"

ما سبب هذه الحدة الرهيبة في صوته أكل هذا من أجل أنني لم أقابله برغم وعدي بانتظاره، نظرت له بعينين مدهوشتين لمحت تلك النظرة الغريبة في عينيه، نظرة حاولت فهمها ولم أستطع.

قلت بصوت هامس وأنا أتجه لمقعد شاغر في الصالة وأجلس:

- "شريف! ما الذي حدث؟"

تعقد جبينه بصورة غريبة وهو يتمتم:

- "ما الذي حدث؟ أهذا سؤال تأتي لتسأله الآن؟"

- "شريف ما بك.. شكلك لا يعجبني.."

قفز في اتجاهي وأمسكني من كتفي وهو يقول بصوت صارم:

- "شريف من يا أستاذ خالد؟!"

قلت وعيناي في عينيه بصوت هادئ:

- "ما الذي تفعله يا شريف، ما بك؟"

نظر لي وكأنه ينظر لمجنون قبل أن يقول:

- "إنني لست شريف يا أستاذ خالد.. أنا فؤاد.. فؤاد.. جريمتك أنستك اسمي؟"

شعرت بألم في رأسي وأنا أتمتم قائلاً:

- "فؤاد من؟! أنت شريف صديقي.. صديقي العزيز.."

ضغط على أسنانه بغيظ وهو يقول:

- " بل أنا فؤاد .. فؤاد سعد .. "

اتسعت عيناي بشدة وشعرت بأصوات رهيبة داخل عقلي وأنا أهمس:

- "فؤاد سعد زوج أختي عبير.. أجننت يا شريف؟"

قال فؤاد وهو يدور حولي محاولاً الفهم:

- "أنا بالفعل فؤاد سعد يا أستاذ خالد ولكني لم أتزوج أختك عبير لسبب أنت تعرفه جيداً.. لأن عبير أختك.. انتحرت.."

لاحظ نظرة الذهول في عيني ولان صوته قليلاً وهو يتابعني قبل أن يقول:

- "أحقًا لا تتذكر شيئًا؟! مستحيل! أهذه نهاية الأستاذ خالد الخولي بكل جبروته وسطوته، ألا تعرف حقًا.."

وانطلقت ضحكته عالية قبل أن أرى دموع تلمع في عينيه وهو يقول:

- "حاول أن تتذكر فؤاد سعد صديقك القديم.. حاول، هل تذكره، بالتأكيد تذكره، وتذكر مواقفه معك دائمًا، فؤاد سعد القديم الذي تمنى لكثير من الوقت أن يقتلك بل لسنوات حلم أن يقتلك.. ألا تتذكر أيضًا، عبير أختك، عبير التي يومًا ما وهبتها قلبي ووهبتني قلبها، وكان هذا طبعًا ضد إرادة الثري الأعظم خالد الخولي، أتتزوج أخته عبير من صديق ليس من طبقتها الاجتماعية، بل أيضًا طامعًا في ثروتها.. أتذكر الآن نظرات الشك التي كنت ترمقني بها وأنت تطردني من فيلا العائلة الكريمة، بل

تطردني من حياتك نفسها كصديق.. ولم يكفيك هذا بل لفقت لي هذه القضية أنت وشريكك المجرم.."

تمتمت في ضعف وأنا أتأمل ملامح وجهه:

- "شريكي؟.. شريف؟!"

قال من بين شفتين غاضبتين بصوت أجش:

- "شريكك نعم، عبد الحميد جابر، أظن أنك لم تنسه، عندما لجأت إليه أنت ليخلصك من صديقك أنا.. فؤاد سعد أفهمت.. لا أعرف من هو شريف الذي تقصده بمناداتك لي.. ولكني بالفعل كنت شريفًا معك في خصومتي بينما كنت أنت حقير في خصومتك.. تلك القضية الملفقة ألا تذكرها أيضًا، لقد رأيتك يومها في المحكمة، الذئب يراقب ضحيته وهي تسلخ، أربع سنوات من عمري ضاعوا وأنت السبب، أنت وشريكك عبد الحميد جابر، ألا يكفيك أربع سنوات فجئت اليوم لي بمصيبة جديدة.. ما الذي تريده حقًا؟ من الأفضل أن تنزل حالاً، وإلاّ طلبت لك الشرطة.."

قلت وأنا أتأمل وجه شريف الذي صار فؤاد فجأة:

- "أختي عبير وزوجها شريف يعيشان في الخارج ولهما ابن أسموه خالد."

تأملني بعينين واسعتين غاضبتين:

- "هذه كانت أحلامنا فعلاً.. وأنت أنهيت عليها.. أنت من قتل عبير.. أنت يا خالد بيه.. منذ سبع سنوات بالضبط قتلتها عندما رفضت زواجي بها.. عندما سجنتني ورأتْ قسوتك، كانت تعرف.. أنت تلذذت بإخبارها بالقضاء عليّ.. بعدها تركتها وحيدة معذبة في الفيلا، حبيسة لرغباتك وأوامرك، وعندما عدت أنت من سفر لك في الإسكندرية، وجدتها في الحمام، شريانُ الكثير من الحبوب المنومة، وقطعتْ شريان يدها، وغطستْ بجسدها في المغطس.. لتموت وحيدة.. هناك في فيلتك.. مستحيل أن تكون نسيت كل هذا مستحيل.. ليس من الرحمة أن ينسى الجلاد ضحاياه.. أتتذكر الآن.. حاول أن تتذكر.."

من غير المعقول أن تنسى كل هذا؟"

رأسي يكاد ينفجر، كلاّ، إنه كابوس جديد، إنه كابوس وسأفيق بعد دقائق، رحت أهزّ رأسي بمنتهى القوة والعنف وأنا أصرخ في شريف:

- "كلاّ.. مستحيل ما تقوله.. كلاّ.. أنت شريف صديقي.. فؤاد وعبير مسافران خارج مصر.. أنت مجنون.. أنت شريف.. شريف."

تعقد جبينه بشدة وهو يتأمل ملامحي قبل أن يقول:

- "لو أنك حقًا لا تتذكر.. فأنت تحتاج لطبيب.. ومن الأفضل أن يكون طبيبًا نفسي.. حقًا لو كانت تلك هي نهاية خالد بيه الخولي فأنا راض بعدم قتلي لك.. فلا أتصور نهاية خير منها لمثلك.. فلست بهذا النبل لأتمنى لك النجاة بعد كل ما حدث.. الأفضل أن تغادر الآن.."

كدت أسقط وأنا أتأمل وجهه، ملامحه تقول له إنه صادق تمامًا فيما قاله لي، زفرت في عمق وهو يدفعني لباب الخروج عندما سمعت صوتها متسائلة عما يجري، التفت للوراء بغتة لتطالعني بوجهها في ملابس البيت قبل أن أصرخ وأنا أبعد يده عني قائلاً:

- هالة!! مستحيل من جاء بك لهنا؟

رأى نظرات الجنون في عيني فتراجع للوراء واحتضن هالة وهو يقول:

- "هالة من يا أستاذ خالد؟!! إنها نرمين زوجتي.."

سمعت هالة تقول بصوت هامس:

- "من هذا الرجل يا فؤاد..."

- "صديق قديم وفي طريقه للمغادرة... هيا يا خالد بيه يكفي لهذا الحد.."

كان وجود هالة في ملابس البيت في شقة شريف الشعرة التي قصمت ظهري وأنا أتجه للباب والعرق يغمرني بالكامل، سمعت باب الشقة يغلق خلفي بعد خروجي وأنا أقول لنفسي إن هذا الكابوس سينتهي.. سينتهي بكل تأكيد..

لا أعرف كيف قدت سيارتي إلى الفيلا، كنت ذاهلاً ومشتتًا لأقصى درجة..

دخلت للبهو، المرايا في كل مكان كما تركتها، كتب السحر على الأرض والتعاويذ، تلك المرآة الشيطانية في مكانها.. أحتاج للفراش بشدة.. حاولت الاتصال بهالة الرقم غير موجود بالخدمة.. لا أفهم حقًا ما يجري.. ولكني ارتميت على فراشي ورحت في النوم المليء بالكوابيس..

◆◆◆

عندما أفقت صباحًا كنت في حالة من الإرهاق الرهيب.. أحداث أمس عالقة في ذاكرتي بشدة..

أريد التأكد من أن ما حدث لم يكن وهمًا، بعد وقت ليس بالكثير كنت أغادر الفيلا، وجهتي معروفة، الشركة، سأجد هالة هناك، وسوف ينتهي هذا الكابوس الذي مررت به أمس..

الشوارع تجري من أمام عيني والسيارة تجلد الأسفلت بعجلاتها .

أخيرًا كنت أمام باب العمارة التي بها شركتي.. منير عامل الأمن في مكانه، تطلع لي بهدوء وأنا أتجه للمصعد.. بعد دقائق كنت أمام باب الشركة.. شركتي.. الباب مغلق.. إننا لسنا في يوم أجازة.. دفعت المفتاح في الباب وأدرته، وسمعت صوت تكة القفل.. قبل أن أدفع الباب وأدخل..

رجعت للوراء خطوتين وأنا أتأمل الداخل.. كانت الشركة خالية تمامًا من البشر، بينما في وجهي كانت هناك أكوام من التراب وراء الباب وعلى المكاتب.. عفار كثير.. عفار يقول إن المكتب لم يفتح منذ فترة طويلة.. دخلت للداخل تأملت المكاتب الغارقة تحت أكوام التراب.. بلعت ريقي بصعوبة وأنا أتأمل صورة لي في مكتبي وقد غطاها التراب، أزحت التراب بيدي

وتأملت الصورة قبل أن أعيدها لمكانها في ذهول ورهبة.. من أنا؟ خرجت من المكتب واستقليت المصعد إلى الدور الأرضي..

وقفت أمام منير عامل الأمن ذاهلاً قبل أن أقول بصوت عجيب:

- منذ متى والشركة مغلقة..

تأملني منير متعجبًا وهو يقول:

- "منذ سنوات يا خالد بيه.. أليس هناك أمل أن تعودوا للعمل"

تمتمت وأنا أتحرك من أمامه "سنوات.. سنوات والشركة مغلقة.. أين كنت أنا وقتها.. أين؟!!

تأملني وأنا أغادر المكان في عجب، ركبت سيارتي، وعقلي يغلي بالجنون.. إذن الشركة مغلقة حقًا منذ سنوات.. لا وجود لهالة؟ ولا وجود للشركة، بل لا وجود لعبير أختي نفسها.. أخذت طريقي إلى آخر مكان أود الذهاب إليه الآن.. تلك العمارة التي كانت بها جثة سارة..

وقفت أمام العمارة بعد فترة، الرجل الذي شاهدته أمس يجلس أمام الباب.. نزلت واتجهت إليه.. رأيت وجه الرجل متهللاً وأنا أقترب منه وعندما أصبحت أمامه جاء صوته مرحبًا وهو يقول:

- "أهلاً خالد بيه.. خطوة عزيزة.. حاولت أن ألحقك أمس ولكنك مشيت بسرعة."

لم يرد الرجل أن يقول أنني هربت من أمامه.. قلت وأنا أمد يدي له:

- "الشقة التي رأيتني فيها أمس تخص من؟"

اتسعت عينا الرجل وهو يقول:

- "إنها شقتك يا خالد بيه.. لا أعرف لماذا تصر على قفلها، من الأفضل أن تأجرها مفروشًا، ستجلب لك الآن مبلغًا كبيرًا.. تشطيبات صغيرة وتكون جاهزة..."

- "شقتي؟! منذ متى؟!!"

هزّ الرجل رأسه في حيرة وهو يقول:

- "منذ سنوات بعيدة.. حضرتك أخذتها لتكون مكتب ملحق للشركة، وللأسف تركتها من وقتها خالية.."

- "أأنت متأكد؟"

نظر الرجل لي وكأنه يشاهد مجنونًا قبل أن يقول:

- "إنني غفير هنا منذ عشرين عامًا، وبالطبع متأكد أنها

شقتك يا خالد بيه.. ما الأمر.. أتفكر في بيعها لدي مشترٍ لو أحببت..."

شكرت الرجل وأنا أتجه للسيارة.. كل عالمي يتقوض من حولي.. لا شيء حقيقي بحق..

الجنون أصبح كلمة سهلة وسط كل ما أنا فيه..

رجعت لسيارتي رحت أبحث في درج السيارة عن أي شيء يخرجني من هذه الحيرة.. وجدت الملف الذي به صور الأشعة، حمدًا لله ما زلت مصابًا بالسرطان.. على الأقل شيء حقيقي وسط كل هذا العبث.. وجدت يدي تمتد لتصطدم بظرف صغير.. أخرجت الظرف ونظرت فيه، كان ظرف به مجموعة من الروشتات الطبية مع كارت باسم طبيب الدكتور شريف المصري مع عنوان مصحة عصبية ونفسية خاصة.. الروشتات باسمي وعليها اسم المصحة وإمضاء الدكتور.. اللعنة! الأمر يزداد صعوبة.. شريف.. ليكن!

أدرت السيارة وانطلقت بها وأنا أحاول تحديد مكان المصحة تبعًا للعنوان الموجود في الكارت..

أحاول التماسك لقدر المستطاع.. أخيرًا كنت أقف بالسيارة أمام المصحة.. المصحة في شارع هادئ تمامًا.. من الواضح أنهم أحسنوا اختيار مكانها.. استقبلني عامل الأمن وهو يبتسم وأنا

أسأل على الدكتور شريف المصري.. قال لي إنه في مكتبه.. لا أعرف لماذا تحركت من أمامه وأنا أتجه للداخل بسرعة، شيء في هذه المصحة جعلني أشعر بالألفة حقًا وكأنني قضيت بها أيامًا من قبل، لا أعرف كيف قادتني خطواتي لأجد نفسي أمام مكتب عليه لوحة من الخارج باسم الدكتور شريف المصري.. طرقت الباب فجاء صوت من الداخل قائلاً بهدوء:

- "ادخل."

دخلت، كان يجلس على مكتبه، رجل في منتصف الخمسينات، وقف بمجرد دخولي وابتسم في وجهي وهو يقول:

- "أهلاً.. أستاذ خالد.. أوحشناك؟!"-

قلت وأنا أجلس أمامه بحيرة بالغة:

- "إنني لا أفهم أي شيء؟"

نظر لعيني بقوة وشعرت وكأن عينيه تتوغلان داخل روحي وهو يقول:

- "هل حدث شيء؟"

لم أعرف من أين أبدأ الكلام معه، ولكني وضعت الروشتات أمامه وأنا أقول:

- "وجدت هذه الروشتات باسمي في سيارتي ولا أعرف حقًا ما الذي أتى بها لهناك.."

- "ألا تتذكر أي شيء؟"

- "ما أتذكره أصبح غير حقيقي.. أوهذا ما يقوله الجميع من حولي.."

خبط على درج مكتبه بالقلم عدة مرات وهو يقول:

- "منذ فترة طويلة وأنت تعالج عندنا هنا، سنوات بعيدة، أنت من جاء بنفسه إلينا في البداية، أنا أشرفت على علاجك، كنت تقول أن هناك أرواح تطاردك، وأن هناك شياطين أصبحت تراها، بل إنك ترى باستمرار شبح أختك المنتحرة.. وأن هناك ساحرة اسمها سارة استعنت بها لطرد شبح أختك من الفيلا.. لكن شبح أختك قتلها في حادثة وتظن أن سارة نجحت في حبس شبح أختك داخل مرآة.. الأمر كان محيرًا خصوصًا مع حالتك، شاب، غني، لديه مستقبل باهر، فمن أين تأتي له هذه الهلاوس.. الحقيقة شككنا في أنك قد تكون مصابًا بالذهان، وأعطيناك فترة علاج مكثفة مع أميتال الصوديوم بجرعات محددة، ولم نفيد حريتك حسب طلبك من البداية لك حق الخروج والرجوع متى أردت.. وليس علينا منعك بأية صورة لو حاولت المغادرة.. الحقيقة إدارة

المستشفى مع المبلغ الضخم الذي دفعته أنت، سمحت بالأمر.. ولكن مع الوقت أصبح خروجك قد يضر بك، منعتك عدة مرات دون جدوى.. ولكن في النهاية كنت تعود كما تعود لنا اليوم.. الحقيقة أنت لديك مرض غريب بعض الشيء يطلق عليه البعض متلازمة كورساكوف.. وهو من الناحية النظرية فقد ذاكرة هستيرية وبناء عالم مغاير آخر.. في البداية كان الأمر بسيطًا ثم تخطينا الأمر حيث أصبحت تنسى ذكريات قديمة وتعوضها بذكريات غير حقيقية، تبني عالمًا من الأفراد والشخصيات غير حقيقي بالمرة وسط بعض الأحداث والشخصيات الحقيقية بحيث يتمازج الخيال مع الواقع فلا يستطيع عقلك الفصل بينهما.."

قاطعته في عصبية قائلاً:

- "ما تقوله مستحيل.. أنا مصاب بالسرطان وليس بأي مرض عصبي.."

ربت على يدي وهو يقول:

- "بالطبع أعرف إصابتك الأخيرة بالسرطان، وأظنها إصابة قديمة خبيثة خدعتنا ولكنها ظهرت بشدة في الفترة الأخيرة لدي الأشعة الأخيرة التي توضح ورم سرطاني ضخم يشمل الأوجه الجبهية للفصين الجبهيين.. لذا عندما رغبت بالخروج آخر مرة،

قلت إنك لن تعود إلينا مرة أخرى.. هل تريد البقاء.. حسابك ما زال مفتوحًا لدينا..."

وقفت بغتة وأنا أقول في عصبية بالغة:

- "سأغادر.. اسمح لي..."

- سأنتظر عودتك.. كالعادة..

انصرفت من أمامه سريعًا وهو يومئ برأسه، دقائق وكنت أغادر المصحة وأنا ألقي نظرة على المكان.. وبدأت الصور تتعاقب على ذهني بشدة، صور غير منتظمة وناقصة...

صور تقول إن ما قاله لي الدكتور شريف المصري حقيقي ولأقصى درجة، وبأبشع صورة..

❖❖❖

كنت قد انتهيت من لف الهدية، تلك المرآة الملعونة، لقد تذكرت أين رأيتها منذ زمن، إنها المرآة الخاصة بأختي عبير والتي كانت قد اشترتها أمي من مزاد منذ زمن بعيد.. المرآة التي كانت مولعة بها عبير، وكثيرًا ما وجدتها تقف قبالتها تتأمل شكلها..

مرّ أسبوع تقريبًا منذ غادرت مكتب الدكتور شريف المصري.. أسبوع طاردتني فيه الأفكار المجنونة بكل صورها.. كنت أشاهد خيالات مجنونة، أشاهد عبير تتحرك في كل مكان بالفيلا وهي تبتسم لي.. كأول مرة حدث فيها هذا الأمر بعد موتها بشهور.. كنت أراها تتجول في الفيلا ليلاً بحرية وعندما أحاول التأكد من وجودها كانت تختفي.. تذكرت موتها كما حدث، وتذكرتُ ما فعلته بفؤاد كشذرات عابرة متقطعة.. خيالات كثيرة نقلتها لي المرآة أكثرها جنون..

لا أعرف هل ما نقلته لي المرآة عن أمي وأبي حقيقة أم كانت نوع من الهلاوس التي طاردتني كثيرًا..

حلقت ذقني وتأنقت وأنا أخرج، بعد ساعة تقريبًا كنت أقف أمام منزل عبد الحميد جابر، أعطيت للبواب المرآة وأنا أقول له بعد أن منحته مبلغًا في يده أن يسلم المرآة إلى الأستاذ عبد الحميد شخصيًا، ووضعت كارتًا مع المرآة..

الآن عليّ أن أنهي كل شيء وأن أعدل بعض من أخطاء الماضي..

المبلغ الموجود معي في حقيبة السيارة بعد بيع شقتي والشركة كاف لتعويضه ومسامحتي عن سنوات السجن..

وقفت أمام بيت فؤاد لساعتين تقريبًا، رأيته يغادر الشقة، جلست في سيارتي حتى تأكدت أنه لن يعود في الوقت الحالي، أخذت طريقي لأعلى حيث شقته، ضغطت الجرس وسمعت خطواتها تأتي من الداخل، فتحت الباب، وجدتها أمامي، تلعثمتُ قليلاً وأنا أمد يدي بالحقيبة لها قائلاً إنها تخص فؤاد زوجها، عندما يأتي تسلمها له.. منظري الهادئ وتأنقي جعلها تستلم الحقيبة وهي تسأل عما بها، ولماذا هي ثقيلة لهذا الحد، قلت لها إنها كتب تركها فؤاد لدي منذ فترة، وهو من معه أرقام الحقيبة السرية وعندما يفتحها ستري أن الحقيبة تحمل كنزًا.. في النهاية استسلمت لي عندما شعرت أن لا خطر هناك.. طلبت منها رقم فؤاد لأن هاتفي القديم سرق وضاعت الأرقام مني.. أعطتني الرقم.. وعندما نزلت وركبت سيارتي.. اتصلت بفؤاد، أراد أن يغلق الخط في وجهي ولكني طلبت منه دقائق فقط، قلت له فيها إنني تركت له مفاجأة مع زوجته، وأمليته الأرقام السرية للحقيبة.. وأغلقت الخط..

ظللت في مكاني بعيدًا عن العمارة بعض الشيء، لم تمر نصف ساعة حتى كان فؤاد ينزل من سيارة أجرة أمام العمارة ويهرول صاعدًا، ما يزال خائفًا مني.. لابدّ أنه فكر أني أعددت له فخًا جديدًا.. مرت نصف ساعة منذ صعود فؤاد لشقته، ولم ينزل، اطمأن قلبي أنه قبل هديتي.. وعندما كنت أغادر المكان ارتسمت على شفتي ابتسامة شاحبة.. ابتسامة شخص يحاول إصلاح الماضي متمنيًا الخلاص من شروره..

الألم يضرب جسدي بالكامل، توقفت عن تناول الأدوية وكأنني أعاقب نفسي عن كل ما فعلت..

وكان علي الآن العودة..

دخلت للفيلا، كل شيء هادئ، الصمت تشعر أن له وزنًا في المكان.. صمت قاتل!

اتجهت لغرفتي، كنت قد أعددت العدة لكل شيء، المسدس موضوع بجانبي على الكومودينو..

أمد يدي إليه، أتحسسه كصديق قديم، قبل أن أرفعه إلى فمي، أردت موتًا كلاسيكيًا..

كانت أصابعي تضغط ببطء على الزناد، لمحتها واقفة أمامي على بعد أمتار قليلة..

عبير أختي بنظراتها الحالمة التي كانت تقتحمني في تلك اللحظة..

وهي تبتسم لي ابتسامة غامضة وكأنها عرفت أين ستكمل انتقامها..

وأنا أواصل الضغط على الزناد..

قبل أن يختفي كل شيء من أمامي..

وللأبد..

تمت بحمد الله

الفهرس الصفحة

مقدمة: ٥

الفصل الأول: ١١

الفصل الثاني: ٣١

الفصل الثالث: ٥٥

الفصل الرابع: ٧٧

الفصل الخامس: ٨٩

الفصل السادس: ١٠١

الفصل السابع: ١١٩

الفصل الثامن: ١٣٧

الخاتمة: ١٥١

الشموع ما زالت مضاءة. والدائرة مرسومة على الأرض أمامي . والتعاويذ مكتوبة بمنتهى الدقة . كل هذا والخطأ الذي لا أعرف من أين جاء حطم كل شيء حولي .. شعرت بأنهم يراقبونني بشغف وكأنهم يحاولون فهمي .. قبل أن أشعر بغتة مرة أخرى بالضباب ينتشر من حولي بصورة أكبر .. وشعرت بقوة يد رهيبة تقبض على رقبتي. حاولت دفعها بعيداً. ولكنها كانت تسحبني بقوة تجاه المرآة الشيطانية. أحاول أن أتملص ولكن اليد ما زالت تقبض على عنقي. يد تشك أن لها نهاية أو ارتباط بجسد. قبل أن تظلم الدنيا أمامي مع قوة شد رهيبة .. وآخر وهلة قبلها كنت أتجه للمرآة وأشك أنني عبرتها . عبرت ما وراء المرآة ..

ISBN 978 977 399 378 8
6223004051920